مجموعة رسائل للغزالي نسخ ١٧

كتاب المنقذ من الضلال ورسالة العلق وكتاب المضنون به على
غير أهله وكتاب الفرق بين الزندقة والإيمان كلها لحجة الإسلام
الغزالي قدس سره من قبيل التصوف

~~تهافت فلاسفه ومضنون به ورساله وجد~~

كتاب ~~في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق~~ المسمى بالمنقذ من الضلال

كتاب المنقذ من الضلال ورسالة ~~العلق المضنون به على غير أهله~~

وكتاب المضنون به على غير أهله في التصوف

وكتاب الفرق بين الزندقة والإيمان صح

كلها لحجة الإسلام الغزالي قدس سره من قبل التصوف

هفتاد هفت

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين
خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع واستبصر واعتبر وأسعد
خلد الله ملكه الأمجد حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
عفي عنهما







قال الشيخ الامام الاوحد الفقيه العالم
ركن الدين حجة الاسلام ابو حامد محمد بن
محمد بن محمد الغزالي الطوسي رضي الله عنه
الحمد لله الذي يفتتح بحمده كل رساله ومقاله
والصلوة على محمد صاحب النبوة والرساله وعلى
آله واصحابه الهادين من الضلاله اما بعد
فقد سالتني ايها الاخ في الدين ان ابث اليك
غاية العلوم واسرارها وغائلة المذاهب واغوارها
واحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين
اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما
استجرأت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد
الى يفاع الاستبصار وما استفدته اولا من

من علم الكلام وما احتويته ثانيا من طرق اهل
التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام
وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف وما ارتضيته
آخرا من طريق التصوف وما انجلى لي في تضاعيف
تفتيشي عن اقاويل الخلق من لباب الحق وما صرفني
عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعاني
الى معاودته بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت
لاجابتك الى طلبتك على صدق رغبتك
وقلت مستعينا بالله ومستوفقا منه وملتجيا اليه
اعلموا احسن الله ارشادكم والان للحق قيادكم
ان اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف
الامة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق
بحر عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون
وكل فريق يزعم انه الناجي وكل حزب بما لديهم
فرحون وهو الذي وعدنا سيد المرسلين
صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق
حيث قال ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة

الناجية منها واحدة فقد كان ما وعد ان يكون
ولم ازل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ
قبل بلوغ العشرين الى الان وقد اناف السن
على الخمسين اقتحم لجة هذا البحر العميق واخوض غمرته
خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور واتوغل
في مظلمة واهجم على كل مشكلة واقحم على كل ورطة
وافحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف اسرار
مذهب كل طايفة لاميز بين محق ومبطل ومتسنن
ومبتدع ولا اغادر باطنيا الا واحب ان اطلع
على بطانته ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل
ظهارته ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على
كنه فلسفته ولا متكلما الا واجتهد في الاطلاع
على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا
الا واحرص على العثور على سر صفوته ولا متعبدا
الا واترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ولا
زنديقا معطلا الا واتجسس وراءه للتنبه
لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته وقد كان

كان التعطش الى درك حقايق الامور دابي وديدني
من اول امري وريعان عمري غريزة وفطرة من
الله تعالى وضعها في جبلتي لا باختياري وحيلتي
حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقايد
الموروثة على قرب عهد سن الصبا اذ رايت
صبيان النصارى لا يكون لهم نشو الا على التنصر
وصبيان اليهود لا نشو لهم الا على التهود
وصبيان الاسلام لا نشو لهم الا على الاسلام
وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فتحرك باطني
الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية وحقيقة العقايد العارضة
بتقليد الوالدين والاستاذين والتمييز بين هذه
التقليدات واوايلها تلقينات وفي تميز الحق منها
عن الباطل اختلافات فقلت في نفسي اولا انما مطلوبي
العلم بحقايق الامور فلا بد من طلب حقيقة العلم
ما هي فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه

المعلوم انكشافا فلا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان
الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان
من الخطاء ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة
لو تحدي باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا
والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وانكارا
فاني اذا علمت ان العشرة اكثر من الثلثة لو
قال لي قايل لا بل الثلثة اكثر بدليل اني
اقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك
منه لم اشك في معرفتي بسببه ولم يحصل لي
منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه فاما الشك
فيما علمته فلا

القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم

ثم علمت ان كل ما لا اعلمه على هذا
الوجه ولا اتيقنه هذا النوع من اليقين فهو
علم لا ثقة به ولا امان معه وكل علم لا امان معه
فليس بعلم يقيني ثم فتشت عن علومي فوجدت
نفسي عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة الا
في الحسيات والضروريات فقلت الان بعد حصول
اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من
الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من احكامها
اولا لاتيقن ان ثقتي بالمحسوسات واماني من الغلط في
الضروريات من جنس اماني الذي كان من قبل في التقليديات
ومن جنس امان اكثر الخلق في النظريات ام هو
امان محقق لا غدر فيه ولا غايلة له فاقبلت بجد بليغ
اتامل في المحسوسات والضروريات وانظر هل
يمكنني ان اشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك
الى ان لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات ايضا
واخذ يتسع الشك فيها ويقول من اين الثقة
واقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه
واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة
بعد ساعة تعرف انه يتحرك وانه لم يتحرك دفعة
بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم يكن له حالة
وقوف وتنظر الى الكواكب فتراه صغيرا في مقدار
الدينار ثم الادلة الهندسية تدل على انه اكبر
من الارض في المقدار هذا وامثاله من المحسوسات

يحكم فيها حاكم الحس باحكامه ويكذبه حاكم العقل
تكذيبا لا سبيل الى مدافعته فقلت فقد بطلت
الثقة بالمحسوسات ايضا ولعله لا ثقة الا بالعقليات
التي هي من الاوليات كقولنا العشرة اكثر من
الثلثة والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشي الواحد
والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما معدوما
موجودا واجبا محالا فقالت المحسوسات بم تامن
ان يكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات
وقد كنت واثقا بي فجا حاكم العقل فكذبني
ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي فلعل
ورا ادراك العقل حاكم اخر اذا تجلى كذب العقل
في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلي
ذلك الادراك لا يدل على استحالته فتوقفت
النفس في جواب ذلك قليلا وايدت اشكالها
بالمنام وقالت اما تراك تعتقد في النوم امورا
او تتخيل احوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا
ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم

انه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك اصل
وطائل فبم تامن ان يكون جميع ما تعتقده في
يقظتك بحس او عقل هو حق بالاضافة الى حالتك
لكن يمكن ان تطرى عليك حالة تكون نسبتها
الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون
يقظتك نوما بالاضافة اليها فاذا وردت تلك
الحالة تيقنت ان جميع ما توهمت بعقلك خيالات
لا حاصل لها ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية
انها حالتهم اذ يزعمون انهم يشاهدون في احوالهم
التي لهم اذا غاصوا في انفسهم وغابوا عن حواسهم
احوالا لا يوافق هذه المعقولات ولعل تلك
الحالة هي الموت اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فلعل
حيوة الدنيا نوم بالاضافة الى الاخرة فاذا مات
ظهرت له الاشيا على خلاف ما يشاهده الان
ويقال له عند ذلك فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد فلما خطرت لي هذه الخواطر

وانفرجت في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر
اذ لم يكن دفعه الا بدليل ولم يكن نصب دليل
الا من تركيب العلوم الاولية واذا لم يكن مسلمة
لم يمكن تركيب الدليل فاعضل هذا الداء ودام
قريبا من شهرين انا فيهما على مذهب السفسطة بحكم
الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفاه الله تعالى
عن ذلك المرض والاعتلال وعادت النفس الى
الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات
العقلية مقبولة موثوقا بها على امن ويقين
ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور
قذفه الله تعالى في الصدور وذلك النور
هو مفتاح اكثر المعارف فمن ظن ان الكشف
موقوف على الادلة المحررة فقد ضيق رحمة الله
الواسعة ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الشرح قال هو نور يقذفه الله تعالى في
القلب فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود وهو الذي قال

قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق في
ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن ذلك النور
ينبغي ان يطلب الكشف وذلك النور ينبجس
من النور الالهي في بعض الاحايين ويجب الترصد
له كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في
ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والمقصود
من هذه الحكاية ان تعلم كمال الجد في الطلب
حتى انتهى الى طلب ما لا يطلب لان الاوليات
ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر لا يطلب
فانه اذا طلب بعد واختفى ومن طلب ما لا يطلب
فلا يتهم في طلب ما يطلب بالتقصير ولما كفاني
الله تعالى هذا المرض بفضله وسعة جوده
انحصرت اصناف الطالبين عندي في اربع
فرق المتكلمون وهم يدعون انهم اهل
الراي والنظر والباطنية وهم يدعون انهم
اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من
الامام المعصوم والفلاسفة وهم يزعمون

انهم اهل النطق والبرهان والصوفية وهم يزعمون
انهم خواص الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة فقلت
في نفسي الحق لا يعدو هذه الاصناف الاربعة
فهولاء هم السالكون سبيل طلب الحق فان شذ الحق
عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع
الى التقليد بعد مفارقته اذ شرط المقلد ان لا يعلم
انه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده
وهو شعب لا يراب وشت لا يلم بالتلفيق والتاليف
الا ان يذاب بالنار ويستانف له صنعة اخرى متجددة
فابتدأت لسلوك هذه الطرق واستقصى ما
عند هولاء الفرق مبتديا بعلم الكلام وثنيا
بطريق الفلسفة ومثلثا بتعليمات الباطنية
ومربعا بطريق الصوفية ثم اني ابتدأت بعلم الكلام
فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت
فيه ما اردت ان اصنفه فصادفته علما وافيا
بمقصوده غير واف بمقصودي وانما المقصود
منه حفظ عقيدة اهل السنة وحراستها عن تشويش اهل

اهل البدعة فقد القى الله تعالى الى عباده على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدة هي الحق
على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته
القران والاخبار ثم القى الشيطان في وساوس المبتدعة
امورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون
عقيدة الحق على اهلها وانشأ الله تعالى طايفة
من المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام
مرتب يكشف عن تلبيسات اهل البدع المحدثة على
خلاف السنة الماثورة فمنه نشأ علم الكلام
واهله ولقد قام طايفة منهم بما ندبهم له فاحسنوا
الذب عن السنة والنضال عن المعتقدات المتلقاة بالقبول
من النبوة والتغير في وجه ما احدث من البدعة
ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها
من خصومهم اضطرهم الى تسليمها اما التقليد او اجماع
الامة او مجرد القبول عن القران في الاكثر
وكان اكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم
ومواخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع في

حق من لا يسلم سوى الضروريات شيا فلم يكن الكلام
في حقي كافيا ولا لدائي الذي اشكوه شافيا نعم لما نشات
صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوقت
المتكلمون الى مجاوزة الذب عن السنة بالبحث عن
حقايق الامور وخاضوا في البحث عن الجواهر و
الاعراض واحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود
علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل
منه ما يمحق ظلمات الحيرة بالكلية في اختلافات
الخلق ولا ابعد ان يكون قد حصل ذلك لغيري
بل لست اشك في حصول ذلك لطايفة ولكن
حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الامور التي ليست
من الاوليات والغرض الان حكاية حالي لا الانكار
على من استشفى فان ادوية الشفا مختلفة باختلاف
الدا فكم من دوا ينتفع به مريض ويستضر به آخر

القول في حاصل الفلسفة وما يذم منها وما لا يذم
وما يكفر فيه قايله وما لا يكفر وما يبدع فيه وما سرق
كلام اهل الحق ومزجوه بكلامهم لترويج باطلهم في

في درج ذلك وكيفية حصول نفرة النفس من
ذلك الحق وكيفية استخلاص صرف الحق الخالص
من الزيف والبهرجة من جملة كلامهم ثم اني
ابتدات بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة
وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم
من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي
اعلمهم في اصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته
ويطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره وغايلته
فاذا ذاك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساده
حقا ولم ار احدا من علما الاسلام صرف عنايته
الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث
اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات مبددة معقدة
ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بعاقل
عامي فضلا عمن يدعي دقايق العلوم فعلمت ان
رد المذاهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في
عماية فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم
من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ

ومعلم واقبلت على ذلك في اوقات فراغي من التدريس
والتصنيف في العلوم الشرعية وانا ممنو بالتدريس
والافادة لثلاثة نفر من الطلبة ببغداد فاطلعني
الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في هذه
الاوقات المختلفة على منتهى علومهم في اقل
من سنتين ثم لم ازل اواظب على التفكر فيه
بعد ذلك قريبا من سنة اعاوده واردده
واتفقد غوايله واغواره حتى اطلعت على ما فيه
من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعا لم اشك
فيه فاستمع الان حكايته وحكاية حاصل علومهم
فاني رايتهم اصنافا ورايت علومهم اقساما وهم
على كثرة اقسامهم ملزومون وصمة الكفر والالحاد
وان كان بين القدماء منهم والاقدمين وبين الاواخر
منهم والاوايل تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب
منه اعلم انهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم
ينقسمون الى ثلثة اقسام الدهريون والطبيعيون
والالهيون القسم الاول الدهريون وهم

وهم طايفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر
للعالم القادر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا
كذلك بلا صانع ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة
من حيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا
وهولاء هم الزنادقة القسم الثاني الطبيعيون
وهم قوم اكثروا بحثهم عن الطبيعة وعن عجايب الحيوان
والنبات واكثروا الخوض في علم تشريح اعضاء
الحيوانات فراوا فيها من عجايب صنع الله وبدايع
حكمته ما اضطروا معه الى الاعتراف بفاعل
حكيم مطلع على غايات الامور ومقاصدها
ولا يطالع التشريح وعجايب منافع الاعضاء مطالع
الا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير
الباني لبنية الحيوان لا سيما بنية الانسان
الا ان هولاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر
عندهم لاعتدال المزاج تاثير عظيم في قوام قوى
الحيوان به العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه
ايضا وانها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم

ثم اذا انعدم فلا يعقل اعادة المعدوم كما زعموا
فذهبوا الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا
الآخرة وانكروا الجنة والنار والقيمة والحساب
فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب
فانحل عليهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك
الانعام وهولاء زنادقة لان اصل الايمان
هو الايمان بالله واليوم الاخر وان امنوا بالله وصفاته
القسم الثالث الالهيون وهم المتاخرون
مثل سقراط وهو استاذ افلاطون وافلاطون
استاذ ارسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق
وهذب العلوم وخمر لهم ما لم يكن مخمرا من قبل
واوضح لهم ما كان الخفي من علومهم وهم بجملتهم
ردوا على الصنفين الاولين من الدهرية والطبيعية
واوردوا في الكشف عن فضائحهم ما اغنوا به
غيرهم وكفى الله المؤمنين القتال بتقاتلهم
ثم رد ارسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن
كان قبله من الالهيين ردا لم يقصر فيه حتى تبرأ

عن جميعهم الا انه استبقى ايضا من رذايل كفرهم وبدعتهم
بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير
شيعتهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا
والفارابي وامثالهما على انه لم يقم بنقل علم
ارسطاطاليس احد من متفلسفة الاسلاميين
كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهم ليس يخلو
عن تخليط وتخبيط يتشوش فيه قلب المطالع حتى
لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد او يقبل ومجموع ما
صح عندنا من فلسفة ارسطاطاليس بحسب نقل هذين
الرجلين منحصر في ثلثة اقسام قسم يجب التكفير به
وقسم يجب التبديع به وقسم لا يجب انكاره اصلا فلنفصله

فصل في اقسام علومهم اعلم ان علومهم
بالنسبة الى الغرض الذي نطلبه ستة اقسام رياضية
ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية فاما
الرياضية فيتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم
هيئة العالم وليس يتعلق منه شيء بالعلوم الدينية نفيا
واثباتا بل هي امور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها

بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منه آفتان احديهما
من ينظر فيها فيتعجب من دقايقها ومن ظهور
براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده
في الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم في
الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون
قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع
ما تناولته الالسنة فيكفر بالتقليد المحض ويقول
لو كان الدين حقا لما اختفى على هولاء مع تدقيقهم
في هذا العلم فاذا عرف بالسماع كفرهم وجحدهم
نزل على ان الحق هو الجحد والانكار للدين
وكم رايت من ضل عن الحق بهذا العذر ولا
مستند له سواه واذا قيل له الحاذق في صناعة
واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا في كل صناعة
فلا يلزم ان يكون الحاذق في الفقه والكلام
حاذقا في الطب ولا ان يكون الجاهل بالعقليات
جاهلا بالنحو بل لكل صناعة اهل بلغوا فيها
رتبة البراعة والسبق وان كان الجهل والحمق

والحمق يلزمهم في غيرها فكلام الاوايل في
الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني
لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا
اذا قرر على هذا الحد للمتقلد لم يقع منه موقع
القبول بل يحمله غلبة الهوى وشهوة البطالة
وحب التكاسل عن ان يكون على حسن الظن
بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب
زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم
يتعلق بامر الدين ولكن كانت من مبادي علومهم
سرى اليه شرهم وشومهم فقل من يخوض فيه
وينخلع من الدين وينحل عن راسه لجام التقوى
الآفة الثانية نشأت من صديق للاسلام جاهل
ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب
اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى
انكر قولهم في الخسوف والكسوف وزعم ان ما
قالوه خلاف الشرع فاذا قرع ذلك سمع من
عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه

لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجهل وانكار
البرهان القاطع فازداد للفلسفة حبا وللاسلام
ولقد عظمت على الدين جناية من ظن ان الاسلام
ينصر بانكار العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه
العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه تعرض
للامور الدينية وقوله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد
ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله
ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعرف بسير
الشمس والقمر واجتماعهما او مقابلتهما على وجه
مخصوص واما قوله ولكن الله تعالى اذا تجلى لشيء
خضع له فليس يوجد هذه الزيادة في الصحيح فهذا
حكم الرياضيات وآفتها واما المنطقيات فلا يتعلق
شيء منها بالدين نفيا واثباتا بل هو نظر في طرق
الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية
تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها
وان العلم اما تصور وطريق معرفته الحد واما تصديق

تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي
ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون واهل
النظر في الادلة وانما يفارقونهم بالعبارات
والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات
والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت
ان كل آ ب لزم ان بعض ب ا اي اذا ثبت
ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان
ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تنعكس موجبة
جزئية واي تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحدوا
وينكروا اذا انكر لم يحصل من انكاره عند اهل
المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل
دينه الذي يزعم انه موقوف على هذا الانكار
نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو انهم يجمعون
للبرهان شروطا يعلم انها تورث اليقين لا محالة
لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما امكنهم
الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل
وربما ينظر في المنطق ايضا من يستحسنه ويراه

فيظن ان ما نقل عنهم من الكفريات مؤيد بمثل
تلك البراهين فاستعجل الكفر قبل الانتهاء الى العلوم
الالهية فهذه الآفة ايضا متطرقة اليه واما الطبيعيات
فهو بحث عن اجسام العالم السموات وكواكبها وما
تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب
والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات
والمعادن وعن اسباب تغيرها واستحالتها
وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم
الانسان واعضائه الرئيسة والخادمة واسباب
استحالة مزاجها وكما ليس من شرط الدين انكار
علم الطب فليس من شرط انكار ذلك العلم الا في
مسايل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة
وما عداها مما يجب المخالفة فيها فعند التامل يتبين
انها مندرجة تحتها واصل جملتها ان يعلم ان
الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي
مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والطبايع
مسخرات بامره ولا تعمل بنفسها بل لا عمل لشيء منها

منها بذاته عن ذاته واما الالهيات ففيها اكثر اغاليطهم
وما قدروا على الوفا بالبراهين على ما شرطوا في المنطق
ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب
ارسطاطاليس فيها من مذهب الاسلاميين على ما
نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا
يرجع الى عشرين اصلا يجب تكفيرهم في ثلثة منها
وتبديعهم في سبعة عشر ولابطال مذهبهم في هذه المسايل
صنفنا كتاب التهافت واما المسايل الثلث فقد
خالفوا فيها كافة الاسلاميين وذلك في قولهم ان الاجسام
لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة
والعقوبات روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا في
اثبات الروحانية وانها كائنة ايضا ولكن كذبوا
في انكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا
به ومن ذلك قولهم ان الله تعالى يعلم الكليات دون
الجزئيات وهذا ايضا كفر صريح بل الحق ان الله تعالى
لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ومن ذلك قولهم بقدم العالم وازليته ولم يذهب احد

من المسلمين الى شي من هذه المسايل واما ما ورا
ذلك من نفيهم الصفات وقولهم انه عالم بالذات
لا بعلم زايد وما يجري مجراه فمذهبهم فيها قريب
من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل
ذلك وقد بينا في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام
والزندقة ما يتبين به فساد راى من يتسارع
الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه واما السياسيات
فجميع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور
الدنيوية والايالة السلطانية وانما اخذوها من
كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم الماثورة
عن السلف الاولياء واما الخلقية فجميع كلامهم
فيها يرجع الى حصر صفات النفس واخلاقها وذكر
اجناسها وانواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها
وانما اخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون
المثابرون على ذكر الله ومخالفة الهوى وسلوك
الطريق الى الله بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد
انكشف لهم في مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها

وعيوبها وافاتها واعمالها ما صرحوا بها فاخذتها
الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل بها
الى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل
عصر جماعة من المتألهين لا يخلي الله تعالى العالم
عنهم فانهم اوتاد الارض وببركاتهم تنزل الرحمة
على اهل الارض كما ورد في الخبر حيث قال
بهم يمطرون وبه يرزقون ومنهم من كان اصحاب الكهف
وكانوا في سالف الازمنة على ما نطق به القران
فتولد من جهة كلام النبوة وكلام الصوفية في
كتبهم آفتان آفة في حق القايل وآفة في حق الراد
فعظيمة اذا ظنت طايفة من الضعفاء ان ذلك
الكلام اذا كان مدونا في كتبهم وممزوجا بباطلهم
ينبغي ان لا يهجر ولا يذكر بل ينكر على من ذكره
اذ لم يسمعوه اولا الا منهم فسبق الى عقلهم الضعيف
انه باطل لان قايله مبطل كالذي يسمع من
النصراني لا اله الا الله عيسى رسول الله فينكره
ويقول هذا كلام النصارى ولا يتوقف ريثما يتامل

ان النصراني كان كاذبا باعتقاده هذا القول
او لاعتقاده انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فان لم يكفر الا باعتقاد انكاره ولا ينبغي ان يأنف
في غيرها سواه كافر ما هو حق في نفسه وان كان
ايضا حقا عنده وهذه عادة ضعفاء العقول
يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق والعاقل
يقتدي بقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه حيث قال لا تعرف الحق بالرجال
اعرف الحق تعرف اهله والعاقل يعرف الحق ثم
ينظر في نفس القول فان كان حقا قبله سواء كان
قايله محقا او مبطلا بل ربما يحرص على انتزاع
الحق من تضاعيف كلام اهل الضلال عالما
بان معدن الذهب الرغام ولا باس على الصراف
ان ادخل يده في كيس القلاب فانتزع الابريز الخالص
من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته
وانما يزجر عن معاملة القلاب القروي دون
الصيرفي ويمنع من ساحل البحر الاخرق دون

دون السابح الحاذق ويصد عن مس الحية الصبي
دون المعزم البارع ولعمري لما غلب على اكثر
الخلق ظنهم بانفسهم البراعة والحذاقة وكمال العقل
وتمام الالة في تمييز الحق عن الباطل والهدى عن
الضلالة وجب حسم المادة في زجر الكافة عن
مطالعة كتب اهل الضلال بما امكن اذ لا يسلمون
عن الافة الثانية التي سنذكرها وان سلموا
عن الافة التي ذكرناها ولقد اعترض على بعض
الكلمات المبثوثة في تصانيفنا في اسرار علوم
الدين طايفة من الذين لم يستحكم في العلوم
سرايرهم ولم تنفتح الى اقصى غايات المذاهب
بصايرهم وزعمت ان تلك الكلمات من كلام
الاوايل مع ان بعضها من مولدات الخواطر ولا
يبعد ان يقع الحافر على الحافر وبعضها يوجد
في الكتب الشرعية واكثرها موجود معناها في كتب
الصوفية وهب انها لم توجد الا في كتبهم فاذا
كان ذلك الكلام معقولا في نفسه مؤيدا بالبرهان

ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلم ينبغي ان يهجر
وينكر ولو فتحنا هذا الباب وطرقنا الى ان يهجر
كل حق سبق اليه خاطر مبطل لزمنا ان نهجر كثيرا
من الحق ولزمنا ان نهجر جملة آيات من القرآن
واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وحكايات
الصوفية وكلمات الحكماء لان صاحب كتاب اخوان
الصفا اوردها في كتابه مستشهدا بها ومستدرجا
قلوب الحمقاء بواسطتها الى باطله ويتداعى ذلك
الى ان يستخرج المبطلون الحق من ايدينا بادعائهم
اياها كتبهم واقل درجات العالم ان يتميز عن العامي
الغمر فلا يعاف العسل ان وجده في محجمة الحجام
ويتحقق ان الدم مستقذر لا لكونه في المحجمة
بل لصفة في ذاته فاذا عدمت هذه الصفة
في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة
فلا ينبغي ان يوجد له الاستقذار وهذا وهم
باطل وهو غالب على اكثر الخلق فمهما نسبت الكلام
واسندته الى قايل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وان

وان كان باطلا وان اسندته الى من ساء فيه
اعتقادهم ردوه وان كان حقا يعرفون الحق
بالرجال وهي غاية الضلال هذه آفة الرد الآفة
الثانية آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان
الصفا وغيره فراي ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية
والكلمات الصوفية ربما استحسنها وحسن اعتقاده
فيها فيتسارع الى قبول باطلهم الممزوج به بحسن
ظن حصل له فيما راى واستحسنه وذلك نوع
استدراج الى الباطل ولاجل هذه الآفة
يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغرر
والخطر كما يجب صون من لا يحسن السباحة عن
مزالق الشطوط وكما يجب صون الصبيان عن
مس الحيات يجب صون الاسماع عن مختلط تلك
الكلمات وكما يجب على المعزم ان لا يمس الحية
بين يدي ولده الطفل اذا علم انه يقتدي به
في اخذها ويظن انه مثله بل يجب ان يحذره
بان يحذر هو في نفسه بين يديه فكذلك يجب على

بالعالم الراسخ في العلم مثله وكما ان المعزم الحاذق
اذا اخذ الحية و ميّز بين الترياق والسم
فاستخرج منه الترياق وابطل السم فليس له
ان يشح بالترياق على من يحتاج اليه وكذلك
الصراف الناقد البصير اذا ادخل يده في كيس
القلاب واخرج منه الابريز الخالص وافسد
الزيف والبهرج فليس له ان يشح بالجيد المرضي
على من يحتاج اليه فكذلك العالم وكما ان المحتاج
الى الترياق اذا اشمأزت نفسه عنه حيث علم انه
مستخرج من الحية التي هي مركز السم وجب تعريفه
والفقير المضطر الى المال اذا نفر عن قبول الذهب
المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه على
ان نفرته جهل محض وهو سبب حرمانه عن الفائدة
التي هي مطلبه ويحتم تعريفه ان قرب الجوار
بين الزيف والبهرج والجيد لا يجعل الجيد زيفا
كما لا يجعل الزيف جيدا فكذلك قرب الجوار بين
الحق والباطل لا يجعل الحق باطلا كما لا يجعل الباطل

الباطل حقا فهذا مقدار ما اردنا ذكره من آفة
الفلسفة وغائلتها **القول** في مذهب التعليم
وغائلته ثم اني لما عرفت من علم الفلسفة في
تحصيله وتفهمه وتزييف منه علمت ان ذلك
ايضا غير واف بكمال الغرض ان العقل ليس مستقلا
بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء
عن جميع المعضلات وقد كانت نبغت نابغة
التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى
الامور من جهة الامام المعصوم القائم
بالحق عن لي ان ابحث عن مقالاتهم لاطلع على
ما في كتابتهم ثم اتفق ان ورد علي امر جازم
من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن
حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته وصار
ذلك مستحثا من خارج ضميم الباعث الاصلي
من الباطن فانتدبت لطلب كتبهم وجمع مقالاتهم
وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي
ولدتها خواطر اهل العصر لا على المنهاج المعهود

من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيبا
محكما مقاربا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها
حتى انكر اهل الحق في تقرير حجتهم وقال هذا
سعي لهم فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم
بمثل هذه الشبه لولا تحقيقك لها وترتيبك
اياها وهذا الانكار من وجه حق ولقد
انكر احمد بن حنبل على الحارث المحاسبي رح
في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة
فرض فقال احمد نعم ولكن حكيت شبهتهم
ثم اجبت عنها فبم تامن ان يطالع الشبهة
من تعلق بفهمه ولا يلتفت الى الجواب وينظر
في الجواب ولا يفهم كنهه وما ذكره احمد رح
حق ولكن في شبهة لم ينتشر ولم تشتهر
فاذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولم يكن الجواب
الا بعد الحكاية نعم ينبغي ان لا يتكلف
لهم شبهة لم يتكلفوها ولم يتكلفوا ذكرها
ولم اتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت تلك

تلك الشبهة من واحد من اصحابي المختلفين الي بعد
ان كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم وحكى انهم
يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم
فانهم لم يفهموا بعد حجتهم ثم ذكر تلك الحجة وحكاها
عنهم فلم ارض لنفسي ان يظن بي الغفلة عن اصل
حجتهم فلذلك اوردتها ولا ان يظن بي اني
وان سمعتها لم افهمها فلذلك قررتها والمقصود
اني قررت شبهتهم الى اقصى الامكان ثم
اظهرت فسادها بغاية البرهان والحاصل
انه لا حاصل عندهم ولا طائل لكلامهم ولولا
سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك
البدعة مع ضعفها الى هذه الدرجة لكن
شدة التعصب دعا الذابين عن الحق الى
تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم والى
مجاحدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدوهم في
دعويهم الحاجة الى التعليم والى المعلم وفي دعواهم
انه لا يصلح كل معلم بل لا بد من معلم معصوم

وظهرت حجتهم الى اظهار الحاجة الى التعليم والى المعلم
وضعف قول المنكرين فى مقاومته فاغتر بذلك
جماعة فظنوا ان ذلك من قوة مذهبهم وضعف
مذهب المخالف له ولم يفهموا ان ذلك لضعف
ناصر الحق وجهله بطريقه بل الصواب الاعتراف
بالحاجة الى معلم وانه لابد وان يكون معصوما
ولكن معلمنا محمد صلى الله عليه وسلم فاذا قالوا
هو ميت فنقول ومعلمكم غايب فان قالوا
معلمنا قد علم الدعاة وبثهم فى البلاد وهو منتظر
مراجعتهم ان اختلفوا او اشكل عليهم مشكل فنقول
ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم فى البلاد واكمل
التعليم اذ قال الله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتى وبعد كمال
التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته
بقى انهم يقولون كيف يحكمون بما لا يسمعونه
بالنص ولم يسمعوه او بالاجتهاد بالراي وهو
مظنة الخلاف فنقول نفعل ما فعله معاذ رضى الله عنه

اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن
ان يحكم بالنص عند وجود النص وبالاجتهاد
عند عدمه بل كما يفعله دعاتهم اذا بعدوا عن
الامام الى اقصى البلاد اذ لا يمكنهم ان يحكموا
بالنص فان النصوص المتناهية لا تستوفى
الوقايع الغير المتناهية ولا يمكنهم الرجوع فى
كل واقعة الى بلد الامام والى ان قطع المسافة
ويرجع يكون المستفتى قد مات والانتفاع بالرجوع
قد فات فمن اشكلت عليه القبلة ليس له طريق
الا ان يصلى بالاجتهاد او يسافر الى بلد
الامام ليعرف القبلة يفوت وقت الصلوة
فان جازت الصلوة الى غير القبلة بناء
على الظن وقوله عليه السلام ان المخطى فى
الاجتهاد له اجر واحد وللمصيب له اجران
فكذلك فى جميع المجتهدات وكذلك امر تفرقة
الزكوة الى الفقير وربما يحسبه فقيرا باجتهاده
وهو غنى باطنا لاخفائه حاله فلا يكون مواخذا به

وان اخطا، لانه لم يوخذ الا بموجب ظنه فان
قال ظن مخالفه كظنه فاقول هو مامور
باتباع ظن نفسه كالمجتهد في القبلة يتبع ظنه
وان خالفه غيره فان قال قايل فالمقلد
يتبع الشافعي ام ابا حنيفة ام غيرهما فاقول
والمقلد في القبلة عند الاشتباه اذا اختلف
عليه المجتهدون كيف يصنع فيقول له
مع نفسه اجتهاد في معرفته الافضل الاعلم
بدلايل القبلة فيتبع ذلك بالاجتهاد فكذلك
في المذاهب وبالجملة فرد الخلق الى الاجتهاد
ضرورة الانبياء والايمة لانهم قد يخطون
بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
احكم بالظاهر والله يتولى السراير اي احكم
بغالب الظن الحاصل من قول الشهود وربما
اخطا فيه فلا سبيل الى الامن من الخطا
للانبيا في مثل هذه المجتهدات فكيف
نطمع في ذلك غيرهم ولهم سوالان احدهما

احدهما قولهم هذا وان صح في المجتهدات فلا يصح
في قواعد العقايد اذ المخطي فيه غير معذور
فكيف السبيل اليه فاقول في قواعد العقايد
يشتمل عليها الكتاب والسنة وما وراء ذلك
من التفصيل المتنازع فيه يعرف الحق فيه
بالوزن بالقسطاس المستقيم وهي الموازين
التي ذكرها الله تعالى في كتابه وهي خمسة
ذكرتها في كتاب القسطاس المستقيم فان
خصومك يخالفونك في ذلك الميزان فقل
لا يتصور ان يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه
اهل التعليم لاني استخرجته من القران و
تعلمته منه لا يخالف فيه اهل المنطق لانه
موافق لما شرطوا في المنطق غير مخالف له ولا
يخالف فيه المتكلم لانه موافق لما ذكره في
ادلة النظريات وبه يعرف الحق في الكلاميات
فان قال اذا كان في يدك مثل هذا الميزان
فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق فاقول لو اصغوا

الى ان رفعت الخلاف بينهم وذكرت طريق رفع الخلاف
في كتاب القسطاس المستقيم فتامله لتعلم انه حق
وانه يرفع الخلاف قطعا لو اصغوا ولا يصغون
الآن باجمعهم بل قد اصغى اليه طائفة فرفعت الخلاف
بينهم مع عدم اصغائهم فلم لم ترفعه الى الآن
بل علي كرم الله وجهه وهو راس الائمة لم يقدر
على ذلك او يدعي انه يقدر على حمل كافتهم على
الاصغاء قهرا فلم لم يحملهم الى الآن ولاي يوم اخرت
وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته الا زيادة خلاف
وزيادة مخالف نعم كان يخشى من الخلاف نوعا
من الضرر وان لا ينتهي الى سفك الدماء وتخريب
البلاد وايتام الاولاد وقطع الطرق والاغارة
على الاموال وقد حدث من بركات رفعكم
الخلاف ما لم يكن بمثله عهد فان قال ادعيت
انك ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير
بين المذاهب المتعارضة والاختلافات المتقابلة
لم يلزمه الاصغاء اليك دون خصمك واكثر الخصوم

في كتاب اخوان الصفاء وهو على التحقيق حشو الفلسفة
والعجب ممن يتعب طول العمر في طلب العلم ثم يقنع بمثل
ذلك العلم الركيك المستغث ويظن انه ظفر
باقصى مقاصد العلوم فهؤلاء ايضا جربناهم وسبرنا
ظاهرهم فرجع حاصلهم الى استدراج العوام
وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم
ومجادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام
قوي مفحم حتى اذا ساعدهم على القول بالحاجة
الى المعلم مساعد وقال هات علمه وافدنا
من تعليمه وقف وقال الآن اذا سلمت لي
هذا فاطلبه فانما غرضي هذا القدر فقط اذ علم
انه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل
ادنى المشكلات بل عجز عن فهمه فضلا عن جوابه
فهذا حقيقة حالهم على ما اخبرتني تعليقهم فلما
خبرناهم نفضنا اليد عنهم ايضا

القول في طرق الصوفية

ثم اني لما فرغت من هذه
العلوم اقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت

ان طريقتهم انما يتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم
قطع عقوبات النفس والتنزه عن اخلاقها
المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها
الى تخلية القلب عن غير الله وتحليته بذكر الله
وكان العلم ايسر علي من العمل فابتدات بتحصيل
علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب
لابي طالب المكي وكتب الحارث المحاسبي و
المتفرقات الماثورة عن الجنيد والشبلي وابي
يزيد البسطامي قدس الله ارواحهم وغير ذلك
من كلام المشايخ حتى اطلعت على كنه مقاصدهم
العلمية وحصلت ما يمكن ان يحصل من طريقهم
بالتعلم والسماع وظهر لي ان اخص خواصهم
ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق
والحال وتبدل الصفات وكم من الفرق بين
ان يعلم حد الصحة وحد الشبع واسبابهما وشروطهما
وبين ان يكون صحيحا شبعان وبين ان تعرف
حد السكر وانه عبارة عن حالة تحصل من

من استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة الى
معادن الفكر وبين ان يكون سكران لا بل
السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران
وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض
يعرف حد الصحة واسبابها وادويتها وهو
فاقد للصحة وكذلك الفرق بين ان تعرف حقيقة
الزهد وشروطه واسبابه وبين ان يكون
حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا
فعلمت يقينا انهم ارباب احوال لا اصحاب اقوال
وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته
ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالتعلم والسماع
بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل
معي من العلوم التي مارستها والمسالك
التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية
والعقلية ايمان يقيني بالله وبالنبوة وباليوم
الاخر هذه الاصول الثلثة من الايمان
كانت قد رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد

بل اسباب وقراين وتجارب لا تدخل تحت الحصر
تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع
في سعادة الاخرة الا بالتقوى وكف النفس
عن الهوى وان راس ذلك كله قطع علاقة القلب
عن الدنيا والتجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله
تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه
والمال والهرب من الشواغل والعلايق وقد
احدقت لي من الجوانب ولاحظت اعمالي واحسنها
التدريس والتعليم واذا انا مقبل فيها على علوم
غير مهمة ولا نافعة في طريق الاخرة ثم تفكرت
في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله
بل باعثها مجرد طلب الجاه وانتشار الصيت
فتيقنت اني على شفا جرف هار واني قد اشفيت
على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال
فلم ازل اتفكر فيه مدة وانا بعد على مقام
الاختيار اصمم عزمي على الخروج من بغداد ومفارقة

22

ومفارقة تلك الاحوال يوما واحل العزم يوما
واقدم فيه رجلا واوخر عنه اخرى ولا تصدق
لي رغبة في طلب الاخرة بكرة الا ويحمل عليه جند
الشهوة حملة فيفترها عشية فصارت شهوات
الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ومنادي
الايمان ينادي الرحيل الرحيل ولم يبق من
العمر الا القليل وبين يديك السفر الطويل
وجميع ما انت فيه من العلم والعمل ريا
وتخييل وان لم تستعد الان للاخرة فمتى تستعد
وان لم تقطع الان هذه العلايق فمتى تقطعها
فعند ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على
الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة اياك ان تطاوعها فانها
سريعة الزوال فان اذعنت لها وتركت هذا
الجاه العريض والشان المنظوم الخالي عن التكدير
والتنغيص والامر المسلم العالي عن منازعة
الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا يتيسر لك

المعاودة فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات
الدنيا والدواعي قريبا من ستة اشهر اولها
رجب سنة ست وثمانين واربع مائة وفي
هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى
الاضطرار اذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل
عن التدريس وكنت اجاهد نفسي في ان ادرس
يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفة فكان
لا ينطق لساني بكلمة ولا استطيعها البتة
حتى اورثت هذه العقلة في اللسان حزنا
في القلب بطلت معه قوة الهضم ومري الطعام
والشراب فكان لا ينساغ الي شربة ولا تنهضم
الي لقمة وتعدى الى ضعف القوى حتى قطع
الاطباء طمعهم من العلاج وقالوا هذا امر نزل
بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه
بالعلاج الا بان يتروح السر عن الهم الملم
ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت
الى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فاجابني

فاجابني الذي يجيب المضطر اذا دعاه وسهل على
قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاهل والاولاد
واظهرت عزم الخروج الى مكة وانا ادبر في نفسي
سفر الشام حذرا من ان يطلع الخليفة وجملة
الاصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت
بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم
مني ان لا اعاودها ابدا فاستهدفني لائمة
اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز
ان يكون الاعراض عما كنت فيه سببا امرا دينيا
او ظنوا ان ذلك هو المنصب الاعلى في الدين
وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق
ان ذلك لاستشعار من وجه الولاة واما
من قرب منهم وكان شاهدا الحاحهم في التعلق
بي والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات
الى قولهم فيقولون هذا امر سماوي ليس له سبب
الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة العلم

معارقت ما كان معي من مال ولم ادخر الا قدر الكفاف
وقوت الاطفال ترخصا بان مال العراق مرصد
للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم ار في العالم
مالا ياخذه العالم لعياله اصلح منه ثم دخلت
الشام واقمت بها قريبا من سنتين لا شغل لي
الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة
اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته
من علم الصوفية فكنت اعتكف مدة في مسجد
دمشق اصعد منارة المسجد الجامع طول واغلق
بابها على نفسي ثم رحلت منها الى بيت المقدس
ادخل كل يوم الصخرة واغلق بابها على نفسي
ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد
من بركات المكة والمدينة وزيارة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل
صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز ثم جذبتني الهمم
ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان

ان كنت ابعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت
العزلة ايضا حرصا على الخلق وتصفية القلب
للذكر وكانت جواذب الزمان ومهمات العيال
وضرورات المعيشة تغير في وجه المراد وتشوش
صفوة الخلق وكان لا يصفو الى الحال الا في
اوقات متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع طمعي عنها
فتدفعني عنها العوايق واعود اليها ودمت
على ذلك مقدار عشر سنين وانكشفت لي
في اثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاوها
واستقصاوها والقدر الذي اذكره لينتفع
به اني علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة وان سيرتهم احسن السير
وطريقتهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق
بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين
على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من
سيرتهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم
يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم

في ظاهرهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة
وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور
يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القايلون
في طريقة طهارتها وهي اول شروطها تطهير
القلب بالكلية عما سوى الله عز وجل ومفتاحها
الجاري منها مجرى التحريم من الصلوة استغراق
القلب بذكر الله تعالى وآخرها الفناء بالكلية
في الله هذا آخرها بالاضافة الى ما لا يكاد يدخل
تحت الاختيار والكسب من اوايلها وهي على
التحقيق اول الطريقة والمشاهدات وما قبل
ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن اول الطريقة
تبتدي المكاشفات حتى انهم وهم في يقظتهم يشاهدون
الملايكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم
اصواتا ويقتبسون منهم فوايد ثم يترقى الحال
من مشاهدة الصور والامثال الى درجات
يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول محاول
ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطاء صريح

صريح لا يمكنه الاحتراز منه وعلى الجملة ينتهي
الامر الى قرب يكاد يتخيل منه طايفة الحلول
وطايفة الاتحاد وطايفة الوصول وكل ذلك
خطاء وقد بينا وجه الخطاء فيه في كتاب المقصد
الاقصى بل الذي لابسته تلك الحالة فلا ينبغي
ان يزيد على ان يقول كان ما كان مما لست
اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر وبالجملة
فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك
في حقيقة النبوة الا الاسم وكرامات الاولياء
على التحقيق هي بدايات الانبياء وكان ذلك
اول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث اقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه
بربه ويتعبد حتى قالت العرب ان محمدا
عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق
من سلك سبيلها ومن لم يرزق الذوق
فيتيقنها بالتجربة والتسامع ان اكثر معهم
الصحبة حتى يفهم ذلك بقراين الاحوال

يقينا ومن حالهم استفاد منهم هذا الايمان
فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ومن لم يرزق
صحبتهم فليعلم امكان ذلك يقينا بشواهد
البرهان على ما ذكرناه في كتاب عجائب القلب
من كتب الاحياء والتحقيق بالبرهان علم
وملابسة تلك الحالة ذوق والقبول
من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان
وهذه ثلث درجات يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات ووراء
هولاء قوم جهال هم المنكرون لاصل
ذلك المتعجبون من هذا الكلام يسمعون
ويسخرون ويقولون العجب انهم كيف يهذون
فيهم قال الله تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا
العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم واتبعوا اهواءهم ومما بان لي
بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة

النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على
اصلها لشدة مسيس الحاجة اليها القول
في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق
اليها اعلم ان جوهر الانسان في اصل
الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من
عوالم الله والعوالم كثيرة لا يحصيها الا
الله كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا
هو وانما خبره من العوالم بواسطة الادراكات
خلق ليطلع الانسان على عالم من الموجودات
ونعني بالعالم اجناس الموجودات فاول ما
يخلق في الانسان حاسة اللمس فيدرك بها
اجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة
وغيرها واللمس قاصر عن ادراك الالوان
والاصوات قطعا بل هي كالمعدومة في حق
اللمس ثم يخلق له البصر فيدرك به الالوان
والاشكال وهو اوسع عوالم المحسوسات فيخلق

فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين وهو طور
آخر من اطوار وجوده فيدرك فيه امورا زائدة
على المحسوسات لا يوجد شي في عالم الحس ثم يترقى
الى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات
والجائزات والمستحيلات وامورا لا يوجد في
الاطوار التي قبله ووراء العقل طور آخر
تنفتح فيه عين اخرى يبصر بها الغيب وما سيكون
في المستقبل وامور اخر العقل معزول عنها
كعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما ان
المميز لو عرض عليه مدركات العقل لاباها
واستبعدها فكذلك بعض العقلاء ابوا مدركات
النبوة فاستبعدوها وذلك عين الجهل اذ لا
مستند له الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه
فظن انه غير موجود في نفسه والاكمه لو لم يعلم
بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وحكي
له ابتداء لم يفهمها ولم يقربها وقد قرب الله تع
ذلك الى خلقه بان اعطاهم انموذجا من خاصية

خاصية النبوة وهو النوم اذ النائم يدرك
ما سيكون من الغيب اما صريحا واما في كسوة
مثال يكشف عنه التعبير لو لم يجربه الانسان
من نفسه وقيل له ان من الناس من يسقط
مغشيا عليه كالميت ويزول احساسه
وسمعه وبصره فيدرك الغيب لانكره ولاقام
البرهان على استحالته وقال القوى الحساسة
اسباب الادراك فمن لم يدرك الشيء
مع وجودها وحضورها فبان لا يدركه
مع ركودها اولى واحق وهذا نوع قياس
يكذبه الوجود والمشاهدة فكما ان العقل
طور من اطوار الآدمي يحصل به فيه عين
يبصر بها انواعا من المعقولات الحواس معزولة
عنها فالنبوة ايضا عبارة عن طور يحصل
فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب
وامور لا يدركها العقل والشك في النبوة
اما ان يقع في امكانها او في وجودها ووقوعها

او في حصولها لشخص معين ودليل امكانها
وجودها ودليل وجودها وجود معارف
في العالم لا يتصور ان ينال بالعقل كعلم
الطب والنجوم فانه من بحث عنها علم بالضرورة
انها لا تدرك الا بالالهام الالهي والتوفيق
من جهة الله تعالى ولا سبيل اليه بالتجربة
فمن الاحكام النجومية ما لا يقع الا في كل الف
سنة مدة فكيف ينال بالتجربة وكذلك
خواص الادوية فتبين بهذا البرهان ان
من الامكان وجود طريق ادراك هذه
الامور التي لا يدركها العقل وهو المراد
بالنبوة لان النبوة عبارة عنها فقط بل
ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات
العقل احدى خواص النبوة وله خواص
كثيرة سواها وما ذكرناه فقطرة من
بحرها وانما ذكرناها لان معك انموذج
منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم

الخصوم مخالفونك ولا فرق بينك وبينهم وهذا
هو سؤالهم الثاني فاقول هذا اولا ينقلب
عليك فانك اذا دعوت هذا المتحير الى نفسك
فيقول لك لم صرت اولى من مخالفيك واكثر
اهل العلم يخالفونك فليت شعري بماذا تجيبه
اتجيب بان تقول امامي منصوص عليه فمن يصدقك
في دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول
صلى الله عليه وسلم وانما يسمع دعواك مع تطابق العالم
على اختراعك وتكذيبك ثم هب انه سلم
لك النص فاذا كان متحيرا في اصل النبوة
فقال هب ان امامك يدل على قوله بمعجزة عيسى
عليه السلام فيقول الدليل على صدقي اني
احيي اباك واحياه فناطقني انه محق فبماذا
اعلم صدقه وكافة الخلق لم يعلموا صدق عيسى ع
بهذه المعجزة بل عليه من الاسولة ما لا يدفع
الا بطريق النظر العقلي والنظر العقلي لا وثوق
ولا تعرف دلالة المعجزة على الصدق ما لم يعرف السحر

والتمييز بينه وبين المعجزة لا يعرف ما لم يعرف ان الله
لا يضل عباده وسؤال الاضلال وتحرير الجواب
عنه مشهور فبماذا تعرف جميع ذلك ولم يكن بالمتابعة
اولى من مخالفته فترجع الى الادلة النظرية التي
ينكرها وخصمه يدري بمثل تلك الادلة والاوضح
منها وهذا السؤال قد انقلب عليهم انقلابا عظيما
ولو اجتمع اولهم وآخرهم على ان يحرروا عنه جوابا
لم يقدروا عليه وانما نشأ الفساد من جماعة
من الضعفاء ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل
بالجواب وذلك مما يطول فيه الكلام ولا يسبق
سريعا الى الافهام فلا يصلح للافحام فان قال
قائل فهذا هو القلب فهل عنه جواب فاقول
نعم جوابه ان المتحير ان قال انا متحير ولم يعين
المسألة التي هو متحير فيها فيقال له انت كمريض
يقول انا مريض ولم يذكر عين مرضه وطلب علاجه
فيقال له ليس في الوجود علاج لمرض مطلق بل
لمرض معين من صداع او اسهال او غيره فكذلك

فكذلك المتحير ينبغي ان يعين ما هو متحير فيه
فان عين المسألة عرفته الحق بالوزن بالموازين
الخمسة التي لا يفهمها احد الا ويعرف انه الميزان
الحق الذي يوثق به كل ما يوزن به فيفهم الميزان
ويفهم منه ايضا صحة الوزن كما يفهم متعلم علم الحساب
نفس الحساب وكون الحاسب المعلم عالما بالحساب
وصادقا فيه وقد اوضحت ذلك في القسطاس المستقيم
في مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود
الآن بيان فساد مذهبهم وقد ذكرت ذلك في الكتاب
المستظهري اولا وفي كتاب حجة الحق ثانيا وهو
جواب كلام عرض علي ببغداد وفي كتاب مفصل
الخلاف الذي هو اثنا عشر فصلا ثالثا وهو
جواب كلام عرض علي بهمدان وفي جواب
الدرج المرقوم بالجداول رابعا وهو من ركيك
كلامهم الذي عرض علي بطوس وفي كتاب القسطاس
المستقيم خامسا وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده
بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء عن الامام

لمن احاط به بل المقصود ان هولاء ليس معهم شي
من الشفاء المنجي من ظلمات الاراء بل هم مع
عجزهم على اقامة البرهان على تعيين الامام
طالما جادلناهم فصدقناهم عن الحاجة الى التعليم
والى المعلم المعصوم وانه الذي عينوه ثم سالناهم
عن العلم الذي علموه من هذا المعصوم وعرضنا
عليهم اشكالات فلم يفهموها فضلا عن القيام
بحلها فلما عجزوا احالوا على الامام الغايب وقالوا
لا بد من السفر اليه والعجب منهم انهم ضيعوا
عمرهم في طلب العلم وبالتبجح بالظفر به ولم يتعلموا
منه شيا اصلا كالمتلطخ بالنجاسة يتعب في طلب
الماء حتى اذا وجده لم يستعمله وبقي متلوثا بالخبايث
ومنهم من ادعى شيا من علمهم وكان حاصل
ما ذكره شيا من ركيك فلسفة فيثاغورس
وهو رجل من قدماء الاوايل ومذهبه اركّ
مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه ارسطاطاليس
بل استرك كلامه واسترذله وهو المحكي في كتاب

علوم من جنسها في الطب والنجوم وهي معجزات
الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة
العقل اصلا واما ما عداها من خواص النبوة
فانما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف
لان هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو
النوم ولولاه لما صدقت به فان كان للنبي
خاصية ليس لك منها انموذج ولا تفهمها
اصلا فكيف تصدق بها وانما التصديق
بعد الفهم وذلك الانموذج يحصل في
اوايل طريق التصوف فيحصل به نوع من
الذوق بالقدر الحاصل من التصديق بما لم
يحصل الى القياس اليه فهذه الخاصية يكفيك للايمان
باصل النبوة فان وقع لك الشك في شخص
معين انه نبي ام لا فلا يحصل اليقين الا
بمعرفة احواله اما بالمشاهدة او بالتواتر
والتسامع فانك اذا عرفت الطب والفقه
امكنك ان تعرف الاطباء والفقهاء بمشاهدة

احوالهم وسماع اقوالهم وان لم تشاهدهم ولا
تقدر على معرفة كون الشافعي فقيها وجالينوس
طبيبا معرفة حقيقية لا بالتقليد وان شاهد
بها الا بان تعرف شيئا من الطب والفقه
وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم
ضروري بحالهما وكذلك اذا فهمت معنى النبوة
فاكثر النظر في القران والاخبار يحصل العلم
الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم في اعلى درجات
النبوة واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات
وتاثيرها في تصفية القلوب وكيف صدق في
قوله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وكيف صدق في قوله من اعان ظالما سلطه
الله عليه وكيف صدق في قوله من اصبح
وهمومه هم واحد كفاه الله هموم الدنيا
والاخرة فاذا جربت ذلك في الالف والالاف
حصل لك علم ضروري لا تماري فيه
فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة لا من

٢٧ لا من قلب العصى ثعبانا وشق القمر فان ذلك
اذا نظرت اليه وحده ولم تنظم اليه القراين
من الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت
انه سحر وانه تخييل وانه من الله تعالى اضلال
فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وترد
عليك اسولة المعجزات فاذا كان مستند
ايمانك كلاما منظوما في وجه دلالة المعجزة
فينخرم ايمانك بكلام مرتب في توجه الاشكال
والشبه عليها فليكن مثل هذه الخوارق
احدى القراين والدلايل في جملة نظرك
حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر
مستنده على اليقين كالذي يخبره جماعة
بخبر متواتر لا يمكنه ان يذكر انه استفاد
اليقين من قول واحد معين بل من حيث لا
يدري ولا يخرج عن جملة المجموع ولا بتعيين
الاحاد فهذا هو الايمان القوي العلمي واما
الذوق فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ولا

يوجد الا في طريق الصوفية فهذا القدر من ذكر
حقيقة النبوة كاف في الغرض الذي اقصده
الان وساذكره في وقت الحاجة الى ذكره
ان شاء الله تعالى ثم اني لما واظبت على العزلة
والخلوة قريبا من عشر سنين وبان لي في اثناء
ذلك على الضرورة من اسباب لا احصيها
ومنها انه بان لي بالذوق مرارا ان للانسان
بدنا وقلبا واعني بالقلب حقيقة روحه
التي هي محل معرفة الله دون اللحم تشارك
فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة
به سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب
كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا من اتى
الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه ان لم
يتداركه كما قال الله تعالى في قلوبهم مرض
وان الجهل بالله مهلك وان معصية الله تعالى
لمتابعة الهوى هو داؤها الممرض وان معرفة
الله ترياقه المحيي وطاعة الله مخالفة الهوى

الهوى دواؤها الشافي وانه لا سبيل الى
معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بادوية
كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك
وكما ان ادوية البدن يؤثر في كسب الصحة
بخاصية فيها لا تدركه العقلاء ببضاعة
العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين
اخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية
النبوة على خواص الاشياء فكذلك بان لي
على الضرورة ان ادوية العبادات بحدودها
ومقاديرها المحدودة المقدرة في جهة
الانبياء لا يدرك وجه تاثيرها ببضاعة
عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء
الذين ادركوا تلك الخواص لا ببضاعة
العقل وكما ان الادوية تركب من اخلاط
مختلفة النوع والمقدار وبعضها ضعف
البعض في الوزن فلا تخلو اختلاف مقاديرها
عن سر من قبيل الخواص فكذلك العبادات

التي هي ادوية القلوب بحركته من افعال مختلفة
النوع والمقدار حتى ان السجود ضعف الركوع
وصلوة الصبح نصف صلوة الظهر في المقدار
ولا يخلو ذلك عن سر من الاسرار هو من
قبل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة
ولقد تحامق وتجاهل جدا من اراد ان يستنبط
بطريق العقل لها حكمة او ظن انها ذكرت
على الاتفاق لا عن سر الهي فيها يقتضيها
بطريق الخاصية وكما ان في الادوية اصولا
هي اركانها وزوائد هي متمماتها لكل واحد
منها خصوص تاثير في اعمال اصولها كذلك
السنن والنوافل لكمال آثار اركان العبادات
وعلى الجملة فالانبياء اطباء امراض القلوب
وانما فائدة العقل وتصرفه انه عرفنا ذلك
وشهد بصدق النبوة داعيا نفسه عن
ادراك ما يدرك بعين النبوة واخذ بايدينا
وسلمنا اليها تسليم العميان الى القائدين وتسليم

وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين
فالى ههنا مجرى العقل وعطاؤه وهو
معزول عما بعد ذلك الا عن تفهم ما يلقيه
الطبيب اليه فهذه امور عرفناها بالضرورة
الجارية مجرى المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة
القول في سبب معاودتي الى نشر العلم بعد
الاعراض عنه ثم راينا فتور الاعتقاد في
اصل النبوة ثم حقيقة النبوة ثم في العمل
بما شرحته النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين
الخلق فنظرت الى اسباب فتور الخلق وضعف
ايمانهم فاذا هي اربعة سبب من الخائضين
في علم الفقه وسبب من الخائضين في علم
التصوف وسبب من المنتسبين الى دعوى
التعلم وسبب من معاملة الموسومين من
العلماء فيما بين الناس فاني تتبعت مدة آحاد
الخلق اسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع
واسأله عن شبهته وابحث عن عقيدته

وشرع واقول له مالك تقصر عن متابعة
الشرع فان كنت تؤمن بالاخرة ولست
تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة
فانك لا تبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع
ما لا نهاية له بايام معدودة وان كنت لا
تؤمن فانت كافر فدبر لنفسك في طلب
الايمان وانظر ما سبب كفرك الخفي الذي
هو مذهبك باطنا وهو سبب جرأتك ظاهرا
فان كنت تصرح به تجملا بالايمان وتشرفا
بذكر الشرع فيقابل بقوله لو وجبت المحافظة
على ما تقول لكان العلماء اجدر بذلك ف
فلان من المشهورين بين الفضلاء لا يصلي
وفلان يشرب الخمر وفلان ياكل الحرام من اموال
الاوقاف واموال اليتامى وفلان ادرار
السلطان ولا يحترز من الحرام وفلان ياخذ
الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا
الى امثاله وقابل ثان يدعي علم التصوف

فيزعم انه بلغ مبلغا ارتقى عن الحاجة
الى العبادة وقابل ثالث يتعلل بشبهة اخرى
من شبهات اهل الاباحة وهم الذين
ضلوا عن طريق التصوف وقابل رابع لقي
اهل التعليم فيقول الحق مشكل والطريق
اليه منسد والاختلاف فيه كثير وليس
بعض المذاهب اولى من بعض وادلة العقول
متعارضة فلا ثقة براي اهل الراي و
الداعي الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف
ندع اليقين بالشك وقابل خامس يقول
لست افعل هذا تقليدا ولكني قرات هذا
علم الفلسفة وادركت حقيقة النبوة
وان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة
وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق
وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال
في الشهوات فما انا من العوام الجهال
ادخل في حجر التكليف وانما انا من الحكماء

اتبع الحكمة وانا بصيرتها مستغن فيها عن التقليد
هذا منتهى ايمان من قرا الفلسفة الالهية منهم
ويعلم ذلك من كتب ابن سينا وابي نصر الفارابي
وهولاء المتجملون منهم بالاسلام وربما يرى
الواحد يقرا القران ويحضر الجماعات والصلوة
ويعظم الشريعة بلسانه ولكنه مع ذلك لا يترك
شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذا
قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي
فيقول رياضة الجسد وعادة البلد وحفظ المال
والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة حق
فيقال لم تشرب الخمر فيقول انما نهي عن الخمر لانها
تورث العداوة والبغضاء وانا بحكمتي محترز عن ذلك
وانا اقصد به تشحيذ خاطري حتى ان ابن سينا
ذكر في وصية له كتب فيها انه عاهد الله
تعالى على كذا وكذا وانه يعظم الاوضاع الشرعية
ولا يقصر في العبادات الدينية ولا يشرب
تلهيا بل تداويا وكان منتهى حالته في صفاء الايمان

والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لغرض
التشفي فهذا ايمان من يدعي الايمان منهم وقد
انخدع بهم جماعة وزادهم انخداعا ضعف
اعتراض المعترضين عليهم اذا اعترضوا عليهم
بمجاهدة الهندسة والمنطق وغير ذلك مما هي
ضرورية لهم على ما بينا علته من قبل
فلما رايت اصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى
هذا الحد بهذه الاسباب ورايت نفسي مليا
بكشف هذه الشبهة حتى كان افحام هولاء
ايسر عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في
علومهم وطرقهم اعني طرق الصوفية والفلاسفة
والتعليمية والمترسمين من العلماء انقدح
في نفسي ان ذلك متعين في هذا الوقت محتوم
فما يغنيك الخلوة والعزلة وقد عم الداء
ومرض الاطباء واشرف الخلق على الهلاك
ثم قلت في نفسي متى تشتغل انت بكشف هذه
الغمة ولو استغنيت بدعوة الخلق عن طريقهم

الى الحق لعاداك اهل الزمان باجمعهم وانى
تعادهم وكيف تعاسيهم ولا يتم ذلك الا بزمان
مساعد وسلطان متدين قاهر فترخصت
بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة
تعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة فقدر الله
تبارك وتعالى ان حرك داعية سلطان
الوقت في نفسه لا بتحريك من خارج فامر
الرامي بالنهوض الى نيشابور لتدارك
هذه الفترة وبلغ الالزام حدا كان ينتهي
لو اصررت على الخلاف الى حد الوحشة فخطر
لي ان سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغي
ان يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل
والاستراحة وطلب عز النفس وصونها
عن اذى الخلق ولم ترخص لنفسك لعسر معاناة
الخلق والله تعالى يقول الم احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم الآية ويقول عز

وجل لرسوله وهو اعز خلقه ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا لا مبدل لكلمات الله ولقد
جاءك من نبإ المرسلين ويقول عز وجل
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون
الى قوله انما تنذر من اتبع الذكر فشاورت
في ذلك جماعة من ارباب القلوب والمشاهد
فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج
من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات من
الصالحين كثيرة متواترة تشهد بان هذه
الحركة مبدأ خير ورشد قدره الله تعالى
على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه
وتعالى باحياء دينه على رأس كل مائة فاستحكم
الرجاء وغلب حسن الظن بهذه الشهادات
ويسر الله تعالى الحركة الى نيشابور للقيام
بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين
واربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة

من سنة ثمان وثمانين وبلغت هذه العزلة
احدى عشر سنة هذه حركة قدرها الله تعالى
وهي من عجايب تقديراته التي لم يكن لها
انقداح في القلب هذه العزلة كما لم يكن الخروج
من بغداد والنزوع عن تلك الاحوال
مما خطر امكانه بالبال اصلا والله تعالى مقلب
القلوب والاحوال وقلب المومنين بين اصبعين
من اصابع الرحمن وانا اعلم واني ان رجعت
الى نشر العلم فما رجعت فان الرجوع عود الى
ما كان وكنت في ذلك انشر العلم الذي
يكتسب به الجاه وادعوا اليه بقولي وعملي
وكذلك قصدي ونيتي وانا الآن ادعو
الى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به
سقوط رتبة الجاه هذا هو الان نيتي و
قصدي وامنيتي يعلم الله ذلك مني وانا
ابتغي ان اصلح نفسي وغيري ولست ادري
اصل الى مرادي ام اخترم عن غرضي لكن

لكن اومن ايمان يقين ومشاهدة انه لا حول
ولا قوة الا بالله واني لم اتحرك ولكنه حركني
اني لم اعمل ولكنه استعملني فاسأله ان
يصلحني اولا ثم يصلح ثانيا ويهديني ثم
يهدي بي وان يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه
والباطل باطلا ويرزقني اجتنابه ونعود الآن
الى ما ذكرناه من اسباب ضعف الايمان ونذكر
طريق ارشادهم وانقاذهم من مهالكهم اما الذين
ادعوا الحيرة بما سمعوه من اهل التعليم فعلاجه
ما ذكرناه في القسطاس المستقيم ولا نطول
بذكره هذه الرسالة واما ما توهمه اهل الاباحة
فقد حصرنا شبههم في سبعة انواع وكشفناها
في كتاب كيمياء السعادة واما من فسد
ايمانه بطريق الفلسفة حتى انكر اصل النبوة
فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة
بدليل وجود خواص الادوية والنجوم وغيرها
وانما قدمنا هذه المقدمة لاجل ذلك واوردنا

الدليل من خواص النجوم والطب لانه من نفس
علومهم ونحن نبين لكل عالم بعث من العلوم
كالنجوم والطب والطبيعة والطلسمات
مثلا من نفى علمه برهان النبوة واما من
اثبت النبوة بلسانه وسوى اوضاع الشرع
على الحكمة وهو على التحقيق كافر بالنبوة انما
هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص يقتضي طالعه
ان يكون متبوعا وليس هذا من النبوة
في شيء بل الايمان بالنبوة ان يؤمن باثبات
طور وراء العقل ينفتح فيه عين يدرك
بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها
كعزل العين عن ادراك الاصوات وجميع
الحواس عن ادراك المعقولات فان لم يجوز
هذا وقد اقمنا البرهان على امكانه بل على
وجوده وان جوز هذا فقد ثبت ان ههنا
امورا تسمى خواصا لا يدور تصرف العقل حواليها
اصلا بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها

باستحالتها فان وزن دانق من الافيون
سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق لفرط برودته
والذي يدعي علم الطبيعة يزعم انه انما برد
المركبات بعنصري الماء والتراب فهما العنصران
الباردان ومعلوم ان ارطالا من الماء
والتراب لا يبلغ تبريدها في البدن الى
هذا الحد ولو اخبر طبيعي بهذا ولم يجربه لقال
هذا محال والدليل على استحالته ان فيه
نارية وهوائية والهوائية والنارية لا
يزيد برودة فنقدر الكل ماء وترابا فلا
يوجب هذا الافراط في التبريد واذا انضم
اليه حاران فبان لا يوجب ذلك ويقدر
هذا برهانا واكثر براهين الفلاسفة
والطبيعيات والالهيات مبني على هذا
الجنس فانهم تصوروا الامور على قدر ما عقلوه
وما لم يألفوه قدروا استحالته ولو لم يكن الرؤيا
الصادقة وجدوها مألوفة فادعى مدعي انه

عند ذكور الخواص بعلم الغيب لا ينكره المتفرقون
مثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل يجوز
ان يكون في الدنيا شيء هو بمقدار حبة
يوضع في بلد يأكل ذلك بجملته ثم يأكل نفسه
ولا يبقى هو في نفسه يقال هذا محال ومن جملة
الحالات وهذه حالة النار سكرها من لم
ير النار واكثر انكار عجائب الاخرة هو من
هذا القبيل فنقول للطبعي قد اضطررت
الى ان تقول في الافيون خاصية في
التبريد ليس على قياس المعقول بالطبيعة
فلم لا يجوز ان يكون في الاوضاع الشرعية
من الخواص في مداواة القلوب وتصفيتها
ما لا يدرك بالحكمة العقلية بل لا يتصور
ذلك الا بعين النبوة بل قد اعترفوا بالخواص
هي اعجب من مما اوردوه في كتبهم وهو من الخواص
العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها
الطلق هذا الشكل يكتب على خرقتين ثم يضعها

ما وينظر اليهما الحامل بعينها وتضعهما تحت
قدميها فيسرع الولد في الحال الى الخروج
وهذه صورته وقد اعترفوا بامكان ذلك
واوردوه في عجائب وهو شكل فيه تسعة
بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع
ما في الجدول الواحد خمسة عشر قرأته
في طول الشكل او في عرضه او على التاريب
فليت شعري من يصدق بذلك ثم لم يتسع
عقله للتصديق بان تقدير صلوة الصبح
بركعتين والظهر باربع ركعات والمغرب
بثلث هو لخواص غير معلومة بنظر الحكمة
وسببها اختلاف هذه الاوقات وانما تدرك
هذه الخواص بنور النبوة والعجب انا لو غيرنا
العبارة الى عبارة المنجمين لعقلوا اختلاف
هذه الاوقات فنقول اليس يختلف الوقت
والطالع بان يكون الشمس في وسط السماء
او في الطالع او في الغارب حتى بنوا على

هذا في سرائهم اختلاف الطالع وتفاوت
الاعمار والاجال ولا فرق بين الزوال
وبين كون الشمس في وسط السما، ولا بين
المغرب وبين كون الشمس في الغارب فهل
لتصديقه سبب الا ان ذلك سمعه بعباره
منجم جرب كذبه مايه مرة وهو لا يزال يعاود
تصديقه حتى لو قال له المنجم مثلا اذا كانت
الشمس في وسط السما، ونظر اليها الكوكب
الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت
قتلت في ذلك الثوب فانه لا يلبس الثوب
في ذلك الوقت اعتمادا على قول المنجم
وربما يقاسي البرد الشديد فلا يلبسه هذا
وقد جرب كذب ذلك المنجم مرات فليت
شعري الذي يتسع عقله لقبول هذه
ويضطر الى الاعتراف بانها خواص معرفتها
معجزة لبعض الانبيا، كيف ينكر مثل ذلك
فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات

لم يعرف قط بالكذب ولم يتسع لامكان هذه
الخواص في اعداد الركعات ورمي الجمار وعدد
اركان الحج وسائر تعبدات الشرع فلم يجد
بينها وبين خواص الادعية والنجوم فرقا
اصلا فان قال قد جربت شيئا من النجوم
وشيئا من الطب فوجدت بعضه صادقا
فانقدح في نفسي تصديقه وسقط عن قلبي
استبعاده ونفرته وهذا لم اجربه فبم اعلم
وجوده وتحققه وان اقررت بامكانه
فاقول انك لا تقتصر على تصديق ما جربته
بل سمعت اخبار المجربين وقلدتهم فاسمع
اقوال الانبيا، فقد جربوا وشاهدوا
الحق في جميع ما ورد به الشرع واسلك سبيلهم
تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على اني
اقول وان لم تجرب فيقضي عقلك بوجوب
التصديق والاتباع قطعا فانا لو فرضنا
رجلا بلغ وعقل ولم يجرب مرض وله والد

مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه معرفة
الطب من عقل فعله والده ووراءه وقال
هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك
فماذا يقتضيه عقله وان كان الدوا
مرا كريه المذاق ان يتناول او يكذب
ويقول انا لا اعرف مناسبة هذا الدوا
لتحصيل الشفا ولم اجربه فلا اشك انك
تستحمقه ان فعل ذلك وكذلك يستحمقك
اهل البصاير في توقفك عن قبول قول
النبي عم فان قلت فبم اعرف شفقة النبي
ومعرفته بهذا الطب فاقول وبماذا
عرفت شفقة والدك فان ذلك ليس امرا
محسوسا بل عرفتها بقراين احواله وشواهد
اعماله في مصادره وموارده علما ضروريا
لا تماري فيه ومن نظر في اقوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما ورد من الاخبار
باهتمامه بارشاد الخلق وتلطفه في جر الناس

الناس بانواع الرفق واللطف الى تحسين الاخلاق
واصلاح ذات البين وبالجملة الى ما يصلح به
دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بان
شفقته على امته اعظم من شفقة الوالد
على ولده واذا نظر الى عجايب ما ظهر عليه من
الافعال والى عجايب الغيب التي اخبر عنها في
القران على لسانه وفي الاخبار والى ما
ذكره مما يكون في آخر الزمان وظهور ذلك
كما ذكره علم علما ضروريا انه بلغ الطور
الذي وراء العقل وانفتح له العين التي
ينكشف فيها الغيب والخواص والامور التي
لا يدركها العقل وهذا هو منهاج تحصيل
العلم الضروري بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم
فتامل القران وطالع الاخبار تعرف ذلك
بالعيان وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة
ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان
واما السبب الرابع وهو ضعف الايمان لسوء

سره العلما، فتداوي هذا المرض بثلثة
امور احدها ان يقول ان العالم الذي
يزعم انه ياكل الحرام معرفته بذلك الحرام
لمعرفتك بتحريم الخمر ولحم الخنزير والربا بل
بتحريم الغيبة والكذب والنميمة وانت تعرف
تعرف ذلك وتفعله لا لعدم ايمانك
بانه معصية بل لشهواتك الغالبة عليك
فشهوته كشهوتك وقد غلبته فعلمه بمسايل
وراء هذه يميزها عنك لا يناسب زيادة
زجر عن هذا المحظور المعين كم من مريض
مصدق بالطب لا يصبر عن الفاكهة
وعن الماء البارد وان زجره الطبيب عنه
ولا يدل ذلك على انه غير ضار ولا على ان
الايمان بالطب ليس بصحيح فهذا محمل هفوة
العلما، والثاني ان يقال للعامي ينبغي
ان يعلم ان العالم اتخذ علمه ذخرا لنفسه
في الاخرة ويظن ان علمه ينجيه ويكون شفيعا

شفيعا له حتى تساهل معه في اعماله الفضله
علمه وان جاز ان يكون علمه زيادة حجة
عليه فهو يجوز ان يكون درجة له وهو ممكن
فهو وان ترك العمل فيدلي بالعلم وما انت
ايها العامي اذا نظرت اليه وتركت العمل وانت
عاطل عن العلم فتهلك ولا شفيع لك من
علم ولا عمل والثالث وهو الحقيقة ان العالم
الحقيقي لا يقارف معصية الا على سبيل
الهفوة ولا يكون مصرا على المعصية
اصلا اذ العلم الحقيقي ما يعرف ان المعصية
سم مهلك وان الاخرة خير من الدنيا
ومن عرف ذلك لا يبيع الجيد بالذي هو
ادنى وهذا العلم لا يحصل بانواع العلوم
التي يشتغل بها اكثر الناس فلذلك لا
يزيدهم ذلك العلم الا جرأة على معصية
الله سبحانه واما العلم الحقيقي فيزيد صاحبه
خشية وخوفا ورجاء وذلك يحول بينه وبين

المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها بشر
في الفترات وذلك لا يدل على ضعف الايمان
فالمؤمن مفتن تواب وهو بعيد عن الاصرار
والاكباب هذا ما اردت ان اذكره في ذم
الفلسفة والتعليم وآفاتهما وآفات من
انكر عليهم لا بطريقه ونسال
الله تعالى ان يجعلنا من
آثره واجتباه وارشده
الى الحق وهداه
والهمه ذكره حتى لا ينساه
وعصمه من شر نفسه حتى لا يؤثر سواه واستخلصه
لنفسه حتى لم يعبد الا اياه تمّ
بعون الله وحسن
توفيقه
تم

٤٧

٤١

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله على موجب ما هدانا الى حمده ووفقنا
للقيام بشكره والصلوة على محمد اشرف من
انتسب الى آدم وعلى صحبه الاخيار اما بعد لكل
صناعة اهل يعرفها قدرها ومن اهدى نفايس
صناعة الى غير اربابها فقد ظلم وهذا علق نفيس
مضنون به على غير اهله فمن صانه عمن لا يعرفه فقد قضى
حقه واكرمت بهذا العلق على سبيل التهادي اخي
وعزيزي احمد صانه عن الركون الى دار الغرور
واهله لمعرفة بعض حقايق الاشياء التي كانت معرفة
جميعها مطلوبة لسيد ولد آدم عليه السلام حيث قال
ارني الاشياء كما هي وهذا العلق المضنون به على غير
اهله يشتمل على اربعة اركان الركن الاول في معرفة
الربوبية الركن الثاني في معرفة الملائكة الركن الثالث
في حقايق المعجزات الركن الرابع في معرفة ما بعد
الموت والانتقال من الدنيا الى العقبى وفقنا الله
الى ما يحب ويرضى فانه خير موفق ومعين الركن الاول

في معرفة الربوبية قبل الزمان لا يكون بحسب
الزمان وخلق الزمان في الزمان امر محال
واليوم هو الكون الحادث في اللغة وايام الله
تعالى حيث قال وذكرهم بايام الله مراتب مخلوقاته
ومصنوعاته ومبدعاته من وجه منها قوله
في اربعة ايام فيوم مادة السماء ويوم صورتها
ويوم كواكبها ويوم نفوسها وقوله تعالى خلق
الارض في يومين المادة والصورة ومادة
السموات مادة روحها صورة واحدة ومادة
الارض مادة مشتركة بين الازواج والفحول وهي اخس
لانها مؤسسة لتقبل كل ناكح منها الجماد والمعدنيات
داخلة في الجماد والنبات والحيوان العجم و
الانسان والآثار العلوية والاجرام السماوية
ومنها الارض والماء والهواء والنار والآثار
العلوية والاجرام السماوية كل ما هو فوق
الارض فهو سماء من طريق اللغة لان اهل اللغة
تقول كل ما هو علاك فهو سماوك وكل ما هو

دون الفلك فهو يعني فلك القمر بالنسبة الى الافلاك
ارض بقوله ع ومن الارض مثلهن الاولى كرة النار
والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الطين المخفف
الذي فوق الارض والرابعة الماء والخامسة الارض
البسيطة والسادسة الممتزجات من هذه الاشياء
والسابعة الاثار العلوية فصل فليرتقوا في الاسباب
الارتقاء من الاخس الى الاشرف حتى ينتهي
الى واجب الوجود كما قال تعالى وان الى ربك
المنتهى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ان
السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الاول
انطباق فلك البروج على معدل النهار والفتق بعد
الرتق طول الميل فصل الرزق مقدر مضمون
وهو من المعقولات لا من المنقولات لان الحق
تعالى عقل ذاته وما يوجبه ذاته فهو قد عقل جميع الموجودات
وان كان بالقصد الثاني وانما يوجب وجود كل
واحد منها اعني من الموجودات المبدعات على ما وجد
لانه سبحانه وتع تعقل وجود الكل من ذاته فكان تعقله ذاته

لا يتغير البتة كذلك تعقله لكل ما يوجبه ذاته وكل
ما يعقل وجوده من ذاته لا يتغير بل يجب وجود
كل ذلك ووجود انواع الحيوانات وبقاؤها
متعقل لا شك فيه خصوصا النوع الانساني والنوع
انما يبقى مستحفظا بالاشخاص وبلوغ كل شخص الى الغاية
التي يمكن ان يولد شخصا آخر مثله لا يمكن الا ببقائه
مدة وبقاؤه تلك المدة لا يصح الا بما فيه قوام الحيوة
وقوام الحيوة بالرزق لانه تعالى يعقل وجود الكل
من ذاته ووجود ما يعقله من ذاته واجب ويعقل
بقاء النوع الانساني ببقاء الاشخاص وتناسلهم ويعقل تناسلهم
ببقاء كل شخص مدة بما فيه قوام حيوته وهو الرزق
والرزق انما يكون من النبات والحيوان وهما
الخبز واللحم والفواكه من جملة النباتات واكثر
الحلاوى فوجب ان يكون الرزق مضمونا بتقدير
الرؤف الرحيم لذلك قال تعالى وفي السماء رزقكم
وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل
ما انكم تنطقون فصل من لا يعرف حقيقة

الرؤيا لا يعرف اقسام الرؤيا ومن لا يعرف
حقيقة رؤيا الرسول عليه السلام وسائر الرسل بل
دونه الذين ماتوا لا يعرف رؤية الله تعالى في
المنام وتصور العامي ان من رأى رسول الله في
المنام فقد رأى حقيقة شخصه وكان المعنى الذي وقع في
النفس حاكي الخيال عنه بلفظ فكذلك كل نفس ارتسم
في النفس تمثل الخيال له صورة ولا ادري انه كيف
يتصور رؤية شخص الرسول في الرؤيا وشخصه موضوع
في ارض المدينة وما شق القبر وما خرج الى موضع رآه
النائم والرسل فربما يراه النائم في ليلة واحدة
الف نائم في الف موضع على صور مختلفة والوهم
يساعد العقل فانه لا يمكن تصور شخص واحد في حالة
واحدة في مكانين ولا على صورتين طويل وربع و
شاب وكهل وشيخ ومن لا يحيط معرفته بفساد
هذا التصور فقد قنع من غريزة العقل بالاسم والرسم
دون الحقيقة والمعنى ولا ينبغي ان يعاتب بل
لا ينبغي ان يخاطب فلعله يقول ما يراه مثال له

لا شخصه ويقال هو مثال شخصه ومثال روحه المقدسة من
الصورة والشكل فان قال هو مثال شخصه فاي حاجة
الى تمثل شخصه وشخصه في لعينه متخيل ومحسوس ومن
رأى شخصه بالموت وزال الروح فكانه ما رأى النبي
بل رأى جسما كان يتحرك بتحريك النبي عليه السلام وكيف
يكون اشكال برؤية مثال شخصه بل الحق انه مثال
روحه المقدسة التي هو محل النبوة فما رآه من الشكل
ليس هو روح النبي وجوهره ولا شخصه بل مثاله على
التحقيق فان معنى قوله عم من رآني في المنام فقد رآني
فان الشيطان لا يتمثل بي الا ان ما رآه مثال
واسطة بيني وبينه من تعريف الحق اياه فكما ان
روح النبوة اعني الروح المقدسة الباقية من
النبي عليه السلام بعد وفاته منزهة عن اللون والشكل
والصورة ولكن تعريفاته اليه لامته بواسطة مثال
صادق حتى ذلك المثال هو شكل للون وصورة
وان كان جوهر النبوة منزها عن ذلك فكذلك
ذات الله تعالى منزها عن الشكل والصورة ولكن

ينتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من
نور او غيره من الصورة الجميلة التى تصلح ان تكون
مثالا للجمال المعنوى الحقيقى الذى لا صورة فيه ولا لون
ويكون ذلك المثال صادقا وحقا وواسطا فى التعريف
فيقول النايم رايت الله تعالى فى المنام لا بمعنى انه راى
ذات النبى وروحه او ذات شخصه بل بمعنى انه راى مثاله
فان قيل ان النبى عم له مثل والله تعالى لا مثل له قلنا
هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال فليس المثال عبارة
عن المثل فالمثل عبارة عن المساوى فى جميع الصفات
والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة فان للعقل معنى
لا يماثله غيره ولنا ان نتصور له مثالا لما بينهما
من المناسبة فى شى واحد وهو ان المحسوسات
تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات
بالعقل فهذا القدر من المناسبة كاف فى المثال بل
السلطان يمثل فى النوم بالشمس والقمر بالوزير
والسلطان لا يماثل الشمس بصورته ولا بمعناه
ولا الوزير يماثل القمر الا ان السلطان له استعلاء

٥٢

على الكافة ويعم اثره الجميع والشمس بمناسبة فى هذا
القدر والقمر واسطة بين الشمس والارض فى افاضة
اثر العدل فهذا مثال وليس بمثل والله تعالى قال الله
نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح فاى مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكوة
والشجر والزيت قال الله تعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الاية ذكر
ذلك تمثيلا للقران والقران صفة قديمة لا مثل له لكنه
صار الماء مثالا له وكم من المنامات عرضت على
رسول الله من رؤية لبن او حبل والقران الا فى
مناسبة وهو ان الحبل تتمسك به للنجاة واللبن غذاء الحيوة
الظاهرة والكلام غذاء الحيوة الباطنة فهذه كله
مثال وليس بمثل بل هذه الاشيا لا مثل له بل له امثلة
محاكية لمناسبات معقولة من صفات الله تعالى فانا اذا
عرفنا ان الله تعالى كيف خلق الاشيا وكيف يعلمها
وكيف يريدها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام
بنفسه مثلنا جميع ذلك للانسان ولولا الانسان

عرف من نفسه هذه الصفات لما فهم مثاله في حق
الله تعالى جايز والمثل باطل فان المثال ما يوضح الشيء
والمثل ما يشابهه فان قيل هذا التحقيق الذي ذكرتموه
ليس يفضي الى ان الله تعالى يرى في المنام بل الى ان الرسول
ايضا لا يرى فان المرئي مثاله لا عينه فقوله من رأى
في المنام فقد رآني فهو نوع تجوز معناه كانه رآني
وما سمع من المثال كانه سمع مني قلنا وهذا يرده القائل
بقوله رأيت الله تعالى في المنام لا غير اما ان يريد برؤيته
انه رأى ذاته على ما هو عليه فلا فاذا حصل الاتفاق على
ان ذات الله تعالى وذات النبي لا يرى في المنام
وان مثالا يعتقد النايم ذات الله تعالى وذات النبي
عليه السلام يجوز ان يرى وكيف يمكن ذلك مع وجوده
في المنام وان من لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة
انهم رأوا ذلك الا ان المثال المعتقد قد يكون صادقا
وكاذبا ومعنى الصادق ان الله تعالى جعل رؤياه
واسطة بل هذا المثال واسطة بين الرائي وبين النبي
في تعريف بعض الامور وفي قدرة الله تعالى خلق مثل

هذا الواسطة بين العبد وبينه واتصال الحق به ومعه
موجود فكيف ينكر امكانه فان قيل اذا كان
رؤية الرسول تجوزا والتجوز مما قد اذن في اطلاقه
في حقه ولا يجوز في حق الله من الاطلاقات الا ما ورد
الاذن به قلنا قد ورد الاذن بالاطلاق في ذلك
فان الرسول عليه السلام قال رأيت ربي في احسن
صورة وهذا مما ورد في الاخبار التي وردت
اثبات الصورة لله تعالى حيث قال ان الله تعالى
خلق آدم على صورته وليس المراد به صورة الذات
اذ الذات لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال
كما تجلى جبرئيل عم في صورة دحية الكلبي وفي غيره
من الصورة حتى انه رآه مرارا كثيرا وما رآه في صورته
الحقيقية الا مرة او مرتين وتمثل جبرئيل في صورة دحية
الكلبي ليس بمعنى انه انقلب ذات جبرئيل صورة
دحية الكلبي بذاته ظهر تلك الصورة للرسول مثالا
مؤديا من جبرئيل ما اوحي اليه وكذلك قوله تعالى فتمثل
لها بشرا سويا واذا لم يكن ذلك استحال في ذات الملك

وانتقالا بل بقي جبرئيل على حقيقته وصفته فان ظهر
للنبي على صورة دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق
الله تعالى في يقظة ولا منام فهذا ما يدل من جهة الخبر
على جواز اطلاقه وقد ورد من السلف اطلاق ذلك
ونقلت فيه آثار واخبار ولو لم يرد فيه اطلاق لكنا
نقول يجوز اطلاق كل لفظ في حق الله تعالى صادق و
لا منع منه ولا يحرم اذا كان لا يوهم الخطاء عند المستمع
وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة تدا
تداول الالسنة فان فرض يوهم عنده خلاف الحق
فلا ينبغي ان يطلق معه القول بل يفسر له معناه كما يجوز
ان يقال انا نحب الله تعالى ونشتاق اليه ونريد لقاءه
وقد سبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات خيالات
فاسدة والاكثرون يفهمون معناه على وجه من غير خيال
فاسد ويرجى في هذه الاطلاقات خيال المخاطب
فيجوز الاطلاق من غير كشف ولا يفسر حيث لا ايهام
ويجب الكشف عند الايهام وعلى الجملة هذا يرد الخلاف
الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول الاتفاق على حظ

المعنى من ان ذات الله تعالى مرئي والمرئي مثال و
ظن من ظن استحالة المثال في حق الله تعالى وبصفاته
الامثال وينزهه عن المثل ولا ينزهه عن المثال وله
المثل الاعلى **فصل** قوله تعالى قل هو الله احد فرق
بين الواحد والاحد قال الله تعالى والهكم اله واحد فيقال
الانسان شخص واحد وصنف واحد والمراد به انه
جملة هي جملة واحدة ويقال الف واحد والواحد المشار
اليه من طريق العقل والحس هو الذي يمتنع معناه عن وقوع
الشركة فيه والاحد هو الذي لا تركيب فيه ولا اجزاء
له بوجه من الوجوه فالواحد نفي الشريك والمثل والاحد
نفي الكثرة في ذاته وقوله تعالى الله الصمد والصمد الغني
المحتاج اليه غيره وهذا دليل على ان الله تعالى احدي الذات
وواحد لانه ليس له شريك لو كان له شريك في ملكه
لما كان صمدا غنيا يحتاج اليه غيره بل يحتاج هو ايضا
الى شريكه في المشاركة او التثنية ولو كان له اجزاء
تركيب وحد لما كان صمدا غنيا يحتاج اليه غيره بل
هو محتاج في قوامه ووجوده الى اجزاء تركيبه وحده

فالصمدية دليل على الواحدية والاحدية لم يلد دليل
على ان وجوده مستمر ليس له مثل وجود الانسان
الذي يبقى نوعه بالتوالد والتناسل بل هو وجود مستمر
ازلي وابدي ولم يولد على ان وجوده ليس مثل وجود
الانسان الذي يحصل بعد العدم ويبقى دائما في جنة
عالية لا تفنى واما في هاوية لا تنقطع ولم يكن له كفوا
احد دليل على ان الوجود الحقيقي له تبارك وتعالى
هو الوجود الذي يفيد وجود غيره ولا يستفيد
الوجود من غيره ليس الا له تبارك وتعالى فقوله قل هو
الله احد دليل على اثبات ذاته المنزه المقدس والصمدية
نفي واضافة نفي الحاجة عنه واحتياج غيره اليه ولم يلد
الى اخر السورة سلب ما يوصف به غيره عنه فلا طريق
في معرفة ذات الله تعالى ابين واوضح من سلب
صفات المخلوقات عنه **فصل** يتخيل بعض
الناس كثرة في ذات الله تعالى من طريق تعدد
الصفات وقد صح قول من قال في الصفات
لا هو ولا غيره وهذا التخيل ينتج من توهم التغاير

ولا تغاير في الصفات مثال ذلك ان انسانا
يعلم صورة الكتابة وله علم تصور بسم الله التي
يظهر تلك الصورة على القرطاس وهذه صفة واحدة
وكما لها ان يكون المعلوم تبعا لها فانه اذا حصل
العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على القرطاس
بلا حركة يده وواسطة قلم ومداد فهذه الصفة
من حيث ان المعلوم انكشف بها يقال له علم ومن
حيث ان الالفاظ يدل عليها يقال له كلام فان
الكلام عبارة عن مدلول العبارات ومن حيث ان
وجود المدلول تبع لها يقال لها القدرة ولا تغاير
هنا بين العلم والقدرة والكلام فان هذه صفة واحدة
في نفسها ولا تكون هذه الاعتبارات الثلث واحدة
وكل من كان اعور ينظر بالعين العوراء فلا يرى
الا مطلق الصفة فيقول هو هو واذا التفت الى
الاعتبارات الثلث يقال هي غيره ومن اعتبر
مطلق الصفة مع الاعتبارات فقد نظر بعينين
صحيحين اعتقد انها لا هو ولا غيره والكلام في صفا

الله تعالى وان كان متناسبا لهذا المثال فهو مباين
له بوجه اخر وتفهم هذا المعنى بالكتابة عسير غير يسير
واما الوهم الذي وقع لبعض الناس ان المثال
في حق الله تعالى واوصاف الله لا يجوز فيرفعه اذ ذلك
المتوهم لم يميز بين المثل والمثال فان المثال محال في حق
الله كما ذكرناه في ان يعرف للمعنى المعقول من الصورة
المحسوسة صورة يوضح ويوضح ذلك المعنى المعقول الى
فهم المستفيد واما المحسوس فلا يحتاج الى مثال لان
المحسوس بعينه مندرج في الخيال الا يرى ان من راى
المقدحة والزند والنار التي تحصل بينهما الى مثال لهذه
الاشياء ولكن المعقول المحض الذي لا يندرج في
الخيال ولا يضبطه الخيال فانه يحتاج الى الاستعانة
بالخيال حتى يصل الى فهم الضعفاء وليس لله تعالى
مثل كما قال ليس كمثله شيء ولكن له مثال وقول النبي
عليه السلام ان الله خلق ادم على صورته اشارة
الى هذا المثال فانه لما كان تعالى وتقدس موجودا قائما
بنفسه حيا سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما فـ

٥٧ فالانسان كذلك وان لم يكن الانسان بهذه
الاوصاف موصوفا ما عرف الله تعالى ولذلك
قال النبي عم من عرف نفسه فقد عرف ربه فان كل
ما لم يجد الانسان في نفسه مثالا يعسر عليه التصديق
والاقرار وقد اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء
ايها الانسان اعرف نفسك تعرف ربك ولذلك
لا يحيط علم الانسان باخص وصف الله تعالى لانه ليس
في المبدعات ولا في المخلوقات مثال وانموذج
من ذلك الوصف الخاص الذي له تعالى لان الانسان
انما يسمي الشيء بعد معرفته اياه واذا لم يكن للانسان
اليه طريق وانموذج ولا علم له به ولا اسم له عنده
ولا علامة فكيف يعرفه ولذلك لا يعرف الله الا الله
اعني اخص وصفه وكنه معرفته ثم قال ان الانسان
حي عالم قادر سميع بصير متكلم مريد والله تعالى كذلك
لا يكون القائل مشبها فان التشبيه اثبات المشترك
في الوصف الاخص ومن قال ان السواد عرض موجود
ومولون لا يكون مشبها للسواد والبياض فان الاشتراك

في اللونية والعرضية والوجود لا يكون تشبيها بينهما
فان هذه اوصاف يعمها والموجودات كلها مشتركة
في الوجود العام ولا تماثل بينهما وكذلك لا تماثل بين
السواد والبياض مع اشتراكهما في اللونية والعرضية
والوجود فالمثال في حق الله تعالى شايع جايز والمثل
مستحيل فلنا يقول الله تعالى مدبر متصرف في العالم
وليس في العالم مثال ذلك فان اصلح لان يتحرك
وتحركها في علم وارادة وليس فيها العلم والارادة
فيقع التفهيم بسبب ذلك تصوير الضعيف انه كيف
يكون مدبر فاعل في شي غير متجاوز له ولا حال فيه
فصل تكليف الله تعالى عباده لا يضاهي تكليف
الانسان عبده الاعمال التي ترتبط بها غرضه
وما لاحظ له فيه وما لا يحتاج اليه فلا يكلفه وتكليف
الله تعالى عباده يجري مجرى تكليف الطبيب المريض
فاذا غلب عليه الحرارة امر بشرب المبردات والطبيب
غني عن شربه لا يضره مخالفته ولا ينفعه موافقته
ولكن الضرر والنفع يرجعان الى المريض وانما الطبيب

٥٨ هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب
شفي ويخلص وان لم يوفق فخالفه تمادى المريض
وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب شيئان فانه
مستغن عن بقائه وفنائه فكما ان الله تعالى
خلق الشفاء سببا مفضيا اليه كذلك السعادة
سببا وهو الطاعات ونهي النفس عن الهوى
بالمجاهدة المركبة لها رذايل الاخلاق مسببات
ورذايل الاخلاق في الاخرة مهلكات
كما ان رذايل الاخلاط ممرضات في الدنيا
ومهلكات والمعاصي بالاضافة الى حيوة
الاخرة كالسموم بالنسبة الى حيوة الدنيا
وللنفوس طب كما ان للاجساد طبا والانبياء
عليهم السلام اطباء النفوس يرشدون
الخلق الى طريق العلاج بتمهيد الطرق المركبة
للقلوب كما قال الله تعالى قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها ثم يقال ان الطبيب
امره بكذا ونهاه عن كذا فانه زاد مرضه

لانه خالف الطبيب وانه صح لانه رعى قانون الطب
ولم يقصر في الاحتماء وبالحقيقة لم يتماد مرض المريض
بمخالفة الطبيب يعني المخالفة بل لانه سلك عن
طريق الصحة الذي اخبره الطبيب فكذلك التقوى
هو الاحتماء الذي ينفي عن القلوب امراض الاجساد
في حيوة الدنيا **والمثال الاخر** ان ملكا من ملوك
الناس بعث بعض عبيده الغايب عن مجلسه بمال
ومركوب ليتوجه بلقاءه لينال رتبة القرب منه
ويبعد بسببه من استغناء الملك عن الاستغناء به
وتصمم العزم على ان لا يستخدمه اصلا ثم ان العبد
ضيع المركوب واهلكه وانفق المال لا في زاد الطريق
كان كافرا للنعمة وان ركب المركوب وانفق المال
في الطريق مترددا به كان شاكرا للنعمة ولا ينبغي
ان يظن ان الملك ماله حظ فانه لم يزد في الانعام
عليه وفي تكليف الحضور حظا لنفسه ولكن اراد
سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان
شاكرا وان خالف عدت مخالفته كفرانا والله تعالى

يستوي عنده كفر الكافرين وايمانهم بالاضافة
الى جلاله واستغنائه ولكنه لا يرضى لعباده الكفر
فانه لا يصلح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الطبيب
بهلاك المرضى وبعلاجهم ولا يرضى الملك المستغني
عن عبده الشقاوة بالبعد عنه ويريد السعادة
بالقرب منه وهو غني عنه قرب او بعد فكذا
ينبغي ان يفهم امر التكاليف فان الطاعة ادوية
والمعاصي سموم وتاثيرها في القلوب ولا ينجو الا من
اتى بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة الا من الله
اتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطبيب للمريض
قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتني
فلنفسك وان خالفت فعليها كذلك قال الله
تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن اساء
فعليها **واما العقاب** على ترك الامر وارتكاب
النهي فليس العقاب من الله تعالى غضبا وانتقاما
ومثال ذلك ان من غادر الوقاع عاقبه الله
بعدم الولد ومن ترك ارضاع الطفل عاقبه الله

بهلاک الولد ومن ترک الاکل والشرب عاقبه الله
بالجوع والعطش ومن ترک تناول الادویة
عاقبه بالم المرض وغضب الله تعالى غیر ارادته
الایلام فکما ان الاسباب والمسببات تتادی
بعضها الی بعض فی الدنیا بترتیب مسبب الاسباب
فبعضها یفضی الی الالام وبعضها الی اللذات
ولا یعرف عواقبها الا الاطباء فکذلک نسبة الطاعات
والمعاصی الی الالام الاخرة ولذاتها من غیر فرق
فالسؤال عن انه لم یهلک الحیوان عن السم ولم یؤدّ
السم الی الهلاک ولم خلق جسد الانسان علی وجه
ینفعل عن السم او ینفعل البدن عنه وهو لا ینفعل
من البدن فکذلک الکلام فی انه تعالی لم خلق نفس
الانسان علی وجه یکملها او ینجیها الفضایل ویهلکها
الرذایل والله تعالی غیر عاجز عن الاشباع من غیر اکل
والرواء من غیر شرب والانشاء من غیر مصاحبة
ووقاع والانماء من غیر رضاع ولکنه قد رتب
الاسباب والمسببات ولذلک سر وحکمة لا یعلمها

الا الله والراسخون فی العلم ولیس هذا تعجب وانما
العجب من هذا التدبیر المحکم والنظام المتقن ولعمری
ان من لا یهتدی الی سر الحکمة فیه یتعجب منه لقصور
هدایته ولو کان کذلک ضاع حظ النبات و
والحیوانات والتی هی الطف الحیوانات واقربها
الی الاعتدال مثل الغنم والدراج والدجاج
وغیرها وکمال النبات ان یصیر غذاء لما هو اعلی
منه المرتبة وهو الحیوان ولذلک یقوم بدل ما یتحلل
منه فیصیر جزءا منه متشبها به وهذا کماله وکذلک نسبة
الحیوانات المذبوحة الی الانسان ونسبة الانسان
الی الملائکة فی جنات عدن کما قال تعالی والملائکة
یدخلون علیهم من کل باب واما کون بعض الحیوانات
العجم غذاء لبعض السباع الضاریة وفی السباع الضواری
فواید ومنافع سیاسیة وطبیعیة ویعرفها ارباب
السیاسة والاطباء ومثال من یتعجب من وضع
هذه الاشیاء علی ترتیب النظام الکلی علی موجب
تقدیر الله تعالی کمثل الاعمی الذی دخل دارا فیعثر

بالاواني الموضوعة في صحن الدار فقال لاهل الدار
ما ادرك عقولكم لماذا لا يردون هذه الاواني
الى موضعها ولم تركتموها على الطريق فقيل له انها موضوعة
في مواضعها وانما الخلل في فقد البصر وكمثل الاخشم
الذي لا يدرك الروايح فيلوم واضع اللخالخ والمثلثات
والفواكه العطرة الطيبة بين يديه فيقول هذا شغل
المكان فقط فقيل له في العود فايدة سوى اتخاذه
على جهة الحطب وانما المانع من ادراكه هو الخشم ومنها
مباحث اخر منها ان الله تعالى كيف يامر بالشيء
ويمنع من البحث عنه والبصيرة لا يحصل الا بالبحث
عنه وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعي اعتقادا
جازما او معرفة حقيقة والاعتقاد الجازم يعرف
بالتقليد المجرد على سبيل التصديق والايمان والمعرفة
يحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن
البحث الخلايق كلهم بل الضعفاء العاجزون عن
الاطلاع على حقايق البرهان ومعضلات البحث
ومثال ذلك الطبيب الذي يامر العليل بشرب

الدواء ويمنع عن البحث عن سبب هذا الدواء
شافيا فانه يقصر عنه فهمه ويشق عليه ويعجز عنه ويزداد
المرض ويستضر به فان وجد على سبيل الندور مريضا
ذكيا سالكا منهاج الطب وعلل الامراض لم يمنعه
من البحث ولم يمنعه من ذكر المناسبة بين دوايه
وبين علته بل اذا علم انه لا يؤمن بمجرد قوله وليس
تقلده محض التقليد لما خص به من الذكاء وما يفهمه
من العلة وفهم انه اذا فهم العلة والمناسبة اشتغل
بالعلاج وان لم يكن يفهم اعرض عن التقليد وحف
عليه ذكر المناسبة والعلة ولم يمنع من البحث اذا علم
استقلاله به الا ان ذلك نادر في المرض جدا والاكثرون
يضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العلل والاسرار
والبحث عنها في الشرعيات من هذا القبيل واما
تسخير البهايم للانسان فمثل من يمشي خطوات مثلا
ينظر الى متنزهات ووجوه حسان فيقال له كيف
ابعت رجله وسخرها لاجل عينه والعين آلته كما
ان الرجل آلته فما بال احدهما خادمة واتعبها وجعل

الاخرى مخذومة ويطلب راحتها وهذا جهل الاقدار
والمراتب بل العاقل يعلم ابدا ان الكامل يفدى
بالناقص ويستنسخ لاجل الكامل وهو عين الحكمة
وليس ذلك بظلم فان الظلم هو تصرف في ملك
الغير والله تعالى لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون
تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم بل له ان يفعل ما يشاء
في ملكه ويكون عادلا والوحي الالهي والشرع الحق
لا يرد بما ينبو عنه العقل فان اراد ان ينبو العقل
ان برهان العقل يدل على استحالته كخلق الله تعالى
مثل نفسه او الجمع بين المتضادين فهذا ما لا يرد به
الشرع فان اراد به ما تقصر العقل عن ادراكه ولا
يستقل الاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال ان يكون
في علم الاطباء مثل جذب المقناطيس للحديد
فان المرأة لو جلست فوق حبة مخصوصة القت
الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبوا
العقل عنه يعني انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل
بالاطلاع عليه ولا ينبو عنه الحكم باستحالته وليس كل

ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم يشاهد
قط النار واحراقها فاخبرنا مخبر وقال اني احكّ
خشبة واستخرج من بينها شيئا احمر بمقدار
عدسة يأكل هذه البلدة واهلها حتى لا يبقى منها
شيء من غير ان ينتقل ذلك الى جوفها ومن غير
ان يزيد في حجمها بل يأكل جميع البلد ثم يأكل نفسها
فلا يبقى هي والبلد لكنا نقول هذا الشيء ينبو
عنه العقل ولا يقبله وهذه صورة النار والحس
قد صدق ذلك وكذلك قد يشتمل الشرع على مثل
هذه العجايب التي ليست بمستحيلة وانما هو مستبعد
وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد ما ليس معهودا
بمالوف والمحال ما لا يتصور كونه واما معنى قوله
الله عز وجل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وقوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
فالسؤال قد يطلق ويراد به الالزام يقال ناظر
فلان فلانا وتوجه عليه سؤاله وقد يطلق ويراد
به الاستحسان كما يسأل التلميذ استاذه والله تع

لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الالزام وهو المعنى بقوله تعالى
لا يسأل عما يفعل او لا يقال له لم تركت الالزام فاما
ان لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد
بقوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وهذا
القدر كاف في جواب هذه الاسولة ومن ترقى
عن محل التقليد بادنى كياسة ولم ينته الى رتبة
الاستقلال كان من الهالكين فنعوذ بالله من كياسة
لا ينفع فان الجهالة ادنى الى الخلاص منه **شعر**
ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

فصل اذا عرفت انك حادث وان الحادث
لا يستغني عن المحدث فقد حصل لك البرهان على الايمان
بالله تعالى وما اقرب الى العقل ثم ان المعرفتان
اعني انك حادث وان الحادث لا يحدث في
نفسه واذا عرفت نفسك انك جوهر خاصيتك معرفة
الله تعالى ومعرفة ما ليس المحسوس وليس البدن قوام
ذلك فانهدام البدن لا يعدمك فقد عرفت اليوم
الآخر بالبرهان فانه لا معنى له الا ان لك يومين

يوم حاضر انت مشغول بهذا البدن ويوم آخر
انت فيه مفارق لهذا الجسد واذا لم يكن قوامك
بالجسد وقد فارقته بالموت فقد حصل اليوم
الآخر واذا عرفت انك اذا فارقت المحسوسات
بمفارقة الجسد بقيت اما نعمة هي معرفة الله تعالى
التي هي خاصية ذاتك ومنتهى لذاتك بمقتضى طباعك
الاصلي لو لم يمرض بالميل الى الشهوات واما عذابا
بالحجاب عن الله تعالى الذي هو منتهى شهوتك من
حيث الطبع الاصلي كما قال الله تعالى وحيل بينهم
وبين ما يشتهون وعرفت ان سبب المعرفة الفكر
والذكر والاعراض عن غير الله تعالى وسبب
المانع عن ذكر الله تعالى ومعرفته الاقبال على الشهوات
والحرص على الدنيا وعرفت ان الله تعالى قادر على
ان يعرف عموم عباده وذلك بواسطة الكشف
لبعض خواص عباده وعرفت انه قد فعل ذلك
فقد عرفت رسله بالبرهان وآمنت فاذا عرفت
ان هذه التعريفات للانبياء انما يكون في كسوة

الفاظ وعبارات يوحي اليهم ويلقي في سمعهم اما في
يقظة او منام فقد آمنت بالكتب واذا عرفت
ان افعال الله تعالى منقسمة الى ما فعله بواسطة والى
ما فعله بغير واسطة وان وسايط مختلفة المراتب
فالوسايط القريبة هم يعبر بالملائكة
لكن معرفة هذه بطريق البرهان عسير والعقول فيه طويل
رصدق الرسل بالبرهان واكتف بذلك فانه درجة
من درجات الايمان يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات **فصل** كل ما يتوالد
فلا يستحيل ان يتولد اصلا وما يتولد لا يستحيل ان
يولد فيقول الله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة
انما عني به الانسان التوالدي وقد يتولد العقارب
من الباذروج ولباب الخبز والحيات من العسل
والنحل من العجل المنخفق المكسر عظامه والبق من الخل
وسام ابرص من القنبيط والخنافس من البعرة و
من نوى النبق العقرب الجراده ومن الشعر الحيات
ومن الطين والمدر الفار ومن طين اصول القصب

الدايم الرطوبة طير وكليما طير الماء وامثال
ذلك كما ذكر في كتاب الطلسمات وغيرها ثم يتولد
هذا المتولد ويبقى نوعه بالتوالد وانطباق دايرة
معدل النهار على فلك البروج مما يدل على خراب
عالم السفلي وتغييره للفصول اعني الربيع والخريف
والصيف والشتاء فلا يبقى الحرث والنسل
كما قال الله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذي الجلال والاكرام اعني على الارض فخلق الله تع
آدم من تراب ثم حصل منه التوالد ونظير ذلك
مشاهدة وكذا الصنايع والحرف تحصل من طريق
الالهام ثم يستفاد ويتعلم وتحصل النار من المقدحة
والزند ثم يقتبس بعد حصولها ذلك تقدير
العزيز العليم الذي خلق عند انواح الدايرتين
معدل النهار وفلك البروج الذي تزايد الميل
بينهما آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من
ماء مهين ثم سويه ونفخ فيه من روحه فمن شك في
كيفية بدء الخلق وصنع الصانع الحكيم في التوالد والتولد

فلينظر الى المحسوسات التي ذكرناها واما النشاة الاخرى
وكيفية عود النفوس والارواح الى اشباحها فمذكورة
في بابها انشاء الله تعالى **فصل** المبدعات المخلوقات
احدثها الله تعالى نازلة بالترتيب فهو الاول الذي
لا اول قبله ومنه يحصل المبدعات بل الممكنات
باسرها ثم ينزل الترتيب من الاشرف حتى ينتهي
الى المادة التي هي اخس الاشيا ثم ابتداء تعالى من
الاخس عايدا الى الاشرف حتى انتهى الى الانسان
ويعود الانسان عنده كما نفسه الى حيث قال ارجعي
الى ربك راضية مرضية لذلك قال هو الاول والاخر
اما الظاهر فمركوز في غرايز العقول واما الباطن فلان
وصفه الخاص لا يعرفه الا هو وربما كان باطنا لغاية
ظهوره كما ان الشمس التي هي في غاية البعد عن هذا المثال
ظاهر باهر وبسبب غاية ظهورها لا يدركها الحاسة
المبصرة محاذاة ومقابلة والميزان ما يعرف به حقايق
الاشياء ويميز به صحيح العقيدة عن الفاسدة وهو
الواسطة بين السما والارض حيث قال تعالى

والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذكر
الميزان سر من اسرار الربوبية لا يعرفه الا هو
والراسخون في العلم والله اعلم **الركن الثاني في
معرفة الملائكة** علم الملائكة والجن والشياطين جواهر
قائمة بانفسها مختلفة بالحقايق اختلافا يكون
بين الانواع ومثال ذلك القدرة فانها مخالفة
للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفان للون
واللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها
وكذلك بين الملك والجن والشياطين اختلاف
ومع ذلك فكل واحد جوهر قايم بنفسه وقد وقع اختلاف
بين الملك والجن ولا يدري انه اختلاف بين النوعين
كالاختلاف بين الفرس والانسان والاختلاف
في الاعراض كالاختلاف بين الانسان الناقص
والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان
وهو ان يكون النوع واحدا والاختلاف واقعا
في الاعراض كالاختلاف بين الخير والشرير والاختلاف

بين النبي والولي والطام ان اختلافهم بالنوع والعلم
عند الله تع وهذه اجرام المذكورة لا ينقسم على محل
العلم بالله تع واحد لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل
الا في محل واحد وحقيقة الانسان كذلك والعلم
والجهل بشيء واحد في حالة واحدة متضادان وفي
المحلين متضادين واما هذه الجرم غير منقسم فهل هو
متحيز ام لا فهذا الكلام عايد الى معرفة الجزء الذي
لا يتجزى فان استحال الجزء الذي لا يتجزى فهذا الجرم
غير منقسم ولا متجزء ولا متحيز فان لم يستحل الجزء الذي
لا يتجزى يمكن ان يكون هذا الجرم متحيزا وقد قال
قوم لا يجوز ان يكون غير منقسم ولا متحيز فان الله تع
غير منقسم ولا متحيز فما الذي يفصل هذا من ذاك
وهذا غير مبرهن لانه ربما تباينا وحقيقة الذات
وان سلب عنهما الانقسام والتحيز والامور الكاينة
وتلك سلوب في الاعتبار بالحقايق كالعرضين
المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل واحد
فان اجاب احتياجهما الى المحل وكونهما في المحل لا يفيد

٦٦
تماثلهما فكذلك سبب الاحتياج الى المحل والمكان
لا يفيد اشتراك الشيئين ويمكن ان يشاهد هذه الاجرام
اعني اجرام الملايكة وان كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة
على ضربين اما على سبيل التمثل كقوله تعالى فتمثل لها
بشرا سويا **والقسم الثاني** ان يكون لبعض الملايكة
بدن محسوس كما ان لنفسنا غير محسوس ولها بدن محسوس
وهو محل تصرفها وعالمها الخاص وكذلك لبعض الملايكة
ربما كان هذا البدن المحسوس موقوفا على اشراق نور
النبوة كما ان محسوسات عالمنا هذا موقوف عند
الادراك على اشراق نور الشمس وكذا في الجن والشياطين

فصل وقوع مزاج قريب من مزاج آخر
غير مستحيل فنسبة عين بعض مزاج واحد هو قريب
الى مزاج آخر الى نفس ذلك المزاج نسبة معاونة فان
كان للانسان مزاج خاص وله نفس خاصة ثم مات
صاحب ذلك المزاج وحدث بعده مزاج آخر قريب
به وعند ذلك الادوار والتشكلات الفلكية مثال
ذلك حدث مزاج وتشكل الفلك على هيئة مخصوصة

ثم عادت تلك التشكلات باسرها عود ديكن لها وان لم يكن
النسبة المخصوصة الى مبدا واحد لحدث مزاج استحق
المزاج الحادث نفسا اخرى فتلك النفس مع
النفس المفارقة التي كانت للمزاج المناسب له لها
مناسبة ما فلما يتعلق النفس المفارقة بهذا المزاج تعلقا
كليا لاستحالة تصرف نفسين في بدن واحد فيتعلق
بذلك المزاج تعلقا دون تعلق النفس الحادثة مع
المزاج فيزداد خيرا ان كانت خيرة وشرا ان كانت
شريرة لذلك يقال لكل انسان جني يتبعه ويعاونه
او شيطان يغويه ويضله وان حدث مزاجان
في زمان واحد في بدنين او مكانين وحدثت لها
نفسان كانتا بريان مثل الابدان مرتبان وفي
النفوس بريان وكل من يكون مناسبة للارواح
المفارقة الى روحه اكثر عذب منه من تلك لاتصالا
انواع من الاخلاق فيكون عرافا كاهنا او صاف
منجم او غير ذلك وربما كانت النفوس الوجهية بعد
المفارقة بحيث يصير لها العالم المحسوس بدنا فلا يتعدوا

٦٧

الى العالم الاعلى فيطالع الاسباب المجزوبة في هذا
العالم فتستفيد النفس البدنية المتصلة بها معرفة
ما والشرير منها في غاية الشر لانها خرجت من المادة
والشرير شياطين والخير من الطبقة الناقصة جن
والجن والشياطين علايق يتمسك بها البشر وافعال
روحانية هي مولدات الافعال الطبيعية والخلاص
من المادة دليل كمال القوة سواء كانت تلك
القوة قوة رداءة وقوة خير واما القاعدون عن
اليمين والشمال فقالوا فيهما ما قالوا والحق انها
سر لا يعرفه الانبياء المرسلون عليهم السلام وملايكة
السموات المدبرون المتصرفون في اجرام السموات
لا يعلم عداد تلك الاجرام الا الله تعالى كما قال تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو وملك الموت هو الملك
الذي يأمر الله تعالى بقبض الارواح متضمنا تفريق
المزاج الذي استحق قبول تلك النفس مثاله مثال
مطفي السراج بالنفخ والنفخ نفخان نفخ يوقد
كما قال تعالى ونفخنا فيه من روحنا ونفخ يطفي كما قال

ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض وقال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون **الركن الثالث** في المعجزات واحوال
الانبياء عليهم السلام من تسبيح الحصى وقلب العصا
تسعى وكلام البهايم وكلام الشاة التي قالت للنبي
عليه السلام سوتها اليهودية لا تاكل مني فاني مسمومة
وامثال ذلك على ثلثة اقسام القسم الاول الحسي
والثاني العقلي والثالث الخيالي الاول الحسي
وهو ان يخلق الله تعالى العلم والحيوة والقدرة
حتى يتكلم وفي البهيمة العقل والقدرة والنطق وذلك
ليس بمحال فان الله تعالى قادر على ان يخلق في الباذروج
حيوة وقدرة وسما ويخلق منه عقربا ويخلق في نوى
النبق كذلك ويخلق من لحوم البقر النحل ومن النطفة
الانسان وساير الحيوانات من موادها فهو قادر
على ان يخلق باعجاز نفس مقدسة نبوية في الحصاة حيوة
ومن شاهد خلق الحية النضناضة من شعر امراة
ويحسن ذلك ولا يتعجب من قلب الشعرة حية كيف

يتعجب من خلق العصى حية والحية كانت ذات
نفس نامية نباتية والشعر لم يكن قط ذا نفس
والاجسام متماثلة فكما جاز ذلك في اجسام الناس
جاز ذلك في ساير الاجسام وان كان الجسم الانساني
بسبب اعتدال المزاج قابلا لهذه الاشياء فكل جسم
مستعد لقبول المزاج المعتدل وان كان الاعتدال
موقوفا على الحرارة والرطوبة فليس يمتنع ان يكون
كل جسم قابلا للحرارة والرطوبة ويكون دعاء النبي
وهمته يؤثران في كينونة هذه الاشياء من غير مهلة
ومدة وان جرت العادة ان يخلق الله تعالى هذه
الاشياء في مدة وبذلك يظهر شرف الانبياء عليهم
السلام وخرق العادة ليس بمحال مثال ذلك
الشمس والنار فان ما يحصل من تاثير الشمس في
المايعات وغيرها انما يحصل مدة وعلى سبيل
التدريج وما يحصل اسخان النار يكون دفعة
فلم استحال ان يكون تاثير مراد الانبياء على وجه
يكون نسبته نسبة اسخان النار الى اسخان الشمس

القسم الثاني العقلي وهو قوله تعالى وان من شيء الا
يسبح بحمده وهو شهادة كل مخلوق ومحدث على خالقه
وموجده كشهادة الانبياء على الباني والكتابة
على الكاتب ويقال لذلك لسان الحال والمتكلمون
يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول والحمقى من
الناس لا يعرفون هذه الرتبة ولا يقرون بها القسم
الثالث الخيالي ان لسان الحال يصير مشاهدا محسوسا
على سبيل التمثيل وهذه خاصية الانبياء عليهم السلام
كما ان لسان الخيال تتمثل في المنام لغير الانبياء
ويسمعون صوتا وكلاما كمن يرى في منامه ان حيا يكلمه
او فرسا يخاطبه او ميتا يعطيه شيئا او يأخذ بيده او
يسلب منه شيئا او يصير ظفره اسدا او غير ذلك مما
يراه النائم في منامه فالانبياء عليهم السلام يرون
ذلك في اليقظة ويخاطبهم هذه الاشياء في اليقظة
فان المستيقظ لا يميز بين ان يكون ذلك نطقا خياليا
او نطقا حسيا من خارج والنائم انما يعرف ذلك بسبب
انتباهه والتفرقة بين النوم واليقظة ومن كانت

له ولاية تامة تفيض تلك الولاية لسعتها على
خيالات الحاضرين حتى يرون ما يراه ويسمعون
ما سمعه والتمثل والخيالي اشهر في هذه الاقسام و
والايمان بهذه الاقسام كلها واجمعها واجب
فصل واما شفاعة الانبياء عليهم السلام والاولياء
فالشفاعة عبارة عن نور تشرق من الحضرة الالهية
على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جوهر استحكمت
مناسبتها مع جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة المواظبة
على السنن وكثرة الذكر بالصلوة عليه وثناء له
نور الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع
مخصوص من الحائط لا الى جميع المواضع وانما يختص
ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين الماء في الوضع
وتلك المناسبة مساوية عن سائر اجزاء الحائط
وذلك الموضع هو الذي اذا خرج منه خط الى موضع
النور من الماء حصلت منه زاوية الى الارض
مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء
الى قرص الشمس بحيث لا يكون اوسع منه ولا اضيق

مثال ذلك جام وهذا لا يمكن الا في موضع مخصوص
من الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي
الاختصاص بانعكاس النور فالمناسبات المعنوية
العقلية ايضا تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية ومن
استولى عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة
الالهية واشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولى
عليه السنن والاقتداء بالرسول ومحبة اتباعه
ولم يترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم يستحكم
مناسبته الا مع الواسطة وافتقر الى واسطة الماء المكشوف
للشمس والى مثل هذا يرجع حقيقة الشفاعة في الدنيا
فالوزير المتمكن في قلب الملك المخصوص بالعناية
قد يفضي عن مرتبة اصحاب الوزير ويعفو عنهم لا لمناسبة
بين الملك واصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير
المناسب للملك ففاضت العناية عليهم بواسطة
الوزير لا بانفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم يشملهم
العناية اصلا لان الملك لا يعرف اصحاب الوزير
واختصاصهم به الا بتعريف الوزير واظهار الرغبة

في العفو عنهم فيسمى لفظه في التعريف واظهار الرغبة
شفاعة على سبيل المجاز وانما الممتنع مكانه عند الملك
وانما اللفظ لاظهار الغرض والله تعالى مستغن عن
التعريف ولو عرف الملك حقيقة اختصاصه بالوزير
لاستغنى عن اللفظ وحصل العفو لشفاعة لا نطق فيها
ولا كلام والله تعالى علم به ولو اذن للانبياء عليهم
السلام في اللفظ بما هو معلوم عند الله تعالى لكانت
الفاظهم الفاظ الشفعاء واذا اراد تعالى ان
يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل في الحس والخيال لم
يكن ذلك التمثيل الا بالفاظ مألوفة للشفاعة ويدل
ذلك على انعكاس النور بطريق المناسبة وان جميع
ما ورد في الاخبار عن استحقاق الشفاعة متعلق
بما يتعلق بالرسول عليه السلام من الصلاة عليه او
زيارة القبور او جواب المؤذن والدعاء له
عقيبه وغير ذلك مما يحكم علاقة المودة والمناسبة
معه **الركن الرابع في احوال ما بعد الموت فصل**
في عذاب القبر النفس اذا فارقت البدن وحكمت

القوة الوهمية معها كما ذكرناه وتجرد عن البدن
منزهة ليس قبضتها شيء من الهيئات البدنية
وهي عند الموت غافلة بمفارقتها عن البدن وعن
دار الدنيا متوهمة نفسها الانسان المقبور الذي
مات وعلى صورة كان في الدنيا بتخييل وبتوهم
بدنها مقبورا وتتخيل الآلام الواصلة اليها على
سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به
الشرايع الصادقة فهذا عذاب القبر وان كانت
سعيدة متخيلة على صورة ملايمة على وفق ما كان يعتقده
من الجنان والحور والانهار والحدايق والغلمان
والولدان والحور العين والكاس من المعين فهذا
ثواب القبر لذلك قال النبي عليه السلام القبر اما روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فالقبر الحقيقي
هذه الهيئة كما يخرج الجنين من القرار المكين كما
قال تعالى قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو
بكل خلق عليم وعذاب القبر وثوابه كما ذكرناهما
والنشأة الاخرى خروج النفس عن عالم هذه

الهيئات وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون دليل ظاهر ومثال
بين لهذه النشأة **فصل** قوله عليه السلام
من مات فقد قامت قيامته الفاء ههنا للتعقيب
يعني قامت قيامة الميت عند موته مثال ذلك
من سرق نصابا كاملا من حرز فقد استحق
قطع يده وهذا عقيب هذا الفعل لا يتأخر عنه
وقال تعالى ايضا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله
والقيامة الكبرى ميعاد عند الله تعالى لا يجليها
لوقتها الا هو وعلمها عند الله والاوقات والازمنة
وان كانت فيه تنشأ به لكل واحد منها خواص بعض
انواع الوجود يعتبر ذلك في اوقات الحرث
والنسل وغيرهما وعند المتكلمين يرجع ذلك الى
مشية الله فانه تعالى تخصص وقتا يوجد فيه موجود
بارادته ومشيته والفلاسفة يقولون ان مبادي
الحوادث حركات الافلاك وان ادوارها يختلف

وكل تشكل من تشكلاته يباين غيره من التشكلات
نفرد ذلك في براهين اقليدس ان كل شكل
وكل عود من التشكلات لا يعود بعلتها وبذلك
يبطلون دعوى المنجمين في التجربة لكل عود تشكل
من تشكلات الفلك فيجوز ان يتجدد دور مباين
لساير الادوار يحدث فيها الحيوان غريبة التشكل
لم ير مثلها قبلها قط واذا القينا حجرة في الماء
يحدث فيها تشكل مستدير يكون ابتداء هذا الشكل
مناسبا لعمقها وكلما ازداد عمقه ازدادت تلك
الداير واذا القينا حجرا آخر قبل تمام هذه الداير
لم يلزم ان يكون حركة الماء في النوبة الثانية كحركته
في النوبة الاولى لان الماء في الاولى ساكن و
في الاخرى متحرك فان تشكل الحجر المتحرك خلاف تشكله
الساكن فيختلف الاشكال مع تساوي الاسباب
لامتزاج اثر السابق باللاحق وهب ان تشكلها
للمتحرك وافق تشكلا آخر فكيف يكون مقدمات التوابت
والاوجات وساير الجوزهرات على مثل ما كان

عليه في التشكل الاول فلا يستحيل ان يكون في
التقدير الازلي الادوار يخالف هذه الادوار | دوره
تقتضي نمطا من الوجود مستترا في جنسه فيكون ميعاد
القيامة الكبرى حصول ذلك الشكل الغريب من
الاسباب العالية فيكون ذلك سببا كلها جامعا
لجميع الارواح فيعم حكمها كافة الارواح فيكون قيمة
عامة مخصوصة بوقت لا يتسع القوة البشرية
لمعرفتها اعني لمعرفة وقتها ولا الانبياء المرسلون
عليهم السلام فان الانبياء ايضا يكشف لهم بقدر
احتمالهم وقبولهم فاذا لم يقم برهان كلامي لا
حقيقي على استحالته وجب التصديق به اذا ورد
الشرع به تصريحا لا يتطرق اليه الاحتمال والتاويل
وقد صرح الشرع به تصريحا ضروريا يجب الايمان
ان يحدثه | به ولا يمكن تاويله وكما جاز دور وتشكل يحدث
بسببه انواع من الحيوانات التي لم يعهد مثلها
فكذلك يجب ان يحدث زمان تحشر فيه الموتى
ويجمع اجزاؤهم ويعودوا الى اشباحهم ارواحهم وكما

ان الجاهل يتأمل في فصل الشتاء ويتعجب ان
يحصل فيه نبات وثمار واذا ورد فصل الربيع
عاين ذلك وبين زماني الفصلين بعد في هذه
الدار فكذلك من ظن النشاة الاولى يحصل الانسان
فيها بالاحياء والاعادة بون بعيد لا يقاس
احدهما على الثاني **فصل** عود النفس الى البدن
بعد مفارقتها عنه في القيامة امر ممكن غير مستحيل فلا
ينبغي ان يتعجب منه بل التعجب من تعلق النفس البدن
في اول الامر اظهر من تعجب عوده اليه بعد المفارقه
وتاثير النفس في البدن تاثير فعل وتسخير
ولا برهان في استحالة عوده اذا صيرورة هذا البدن
مستعدا مرة اخرى لقبول تاثيره وتسخيره بقي هاهنا
تعجب من ضعف العقول وهي ان ذلك الاستعداد
الانساني يحصل قليلا قليلا بالتدريج من نطفة
في قرار مكين ثم من علقة الى تمام الخلقة واذا لم يكن
كذلك لا تقبل استعداد وقبول التسخير ووقع هذا
التعجب انا قد بينا ان ما هو ممكن بالتدريج حدوثه

فيها بالتناسل وزمان النشاة
الاخرى التي يحصل الانسان

ممكن دفعة وبالتوالد انما يكون بالتدريج واما بالتوالد
لا يكون بالتدريج المحسوس الا ترى ان الفار الذي
يتوالد يكون بالتدريج وباجتماع الذكر والانثى
وبعد حمل وفصال وان المتولد منه يكون دفعة فانه
لم يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فار وبعضه بالقوة
قريب الى حجر الفار وكذا الذباب الذي يتولد
في الصيف من العفونات يكون دفعة ولم يوجد
عفونة تغيرت عن حالها وصارت بالقوة قريبة
الى كونها ذبابا بل يستحيل ذبابا من غير مهلة وتد
وتدريج **النشاة الثانية** تولده من تلك الاجزاء
التي كانت في الكل وان تفرقت وانحلت
صورها فيرد الله تعالى بواسطة واهب الصور تلك
الى موادها ويحصل المزاج الخاص مرة اخرى ولها
نفس حادث عند حدوث ذلك المزاج ابتداء
فيعود بالتسخير والتصرف اليها مع العلاقة التي بينها
مثال ذلك راكب السفينة غرقت السفينة
وتفرقت اجزاؤها وانتقل الراكب الى ساحة الى

الى جزئية ثم ترد تلك الاجزاء بعينها الى الهيئة
الاولى ويوطرو يوكد عاد اليها راكب السفينة
واجزاؤها وتصرف فيها كما شاء ولا يجب ان
يستحق هذا الحشر جميع الاجزاء والمزاج المتجدد و
نفسا اخرى فان حدوث المزاج يستحق حدوث
النفس له اما عود النفس الى حالة الاولى لا يستحق
الى عود النفس الى الحالة الاولى واما ظن من
ظن ان الاجزاء الارضية لا تبقى بذلك فظن ووهم
لا اعتبار بهما لمن قاس للانسان والاجزاء الارضية
التي فيه باجزاء الارض والى مهندس استخرج ما
بالمساحة ذلك الحذو واما الاختلاف الراجع
الى ذلك في الكتب الالهية فالتورية ان
اهل الجنة يمكثون في النعيم خمسة عشر الف سنة
ثم يصيرون ملايكة وان اهل النار كذا او ازيد
ثم يصيرون شياطين وفي الانجيل ان الناس
يحشرون ملايكة لا يطعمون ولا يشربون ولا
ينامون ولا يتوالدون وفي الفرقان ان الناس

يحشرون كما خلقهم الله تعالى اول مرة كما قال عز من
قائل فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
وسؤال ابرهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى
وقول عزيز عليه السلام حكاية منه انى يحيي هذه الله
بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه ومكث اصحاب
الكهف وهو قول الله تعالى وكذلك بعثناهم ليعلموا
ان وعد الله حق دلايل على ان هذه النشأة كائنة
ممكنة يجب الايمان بها وكان في قديم الدهر فيها
اختلاف الناس والانبياء عليهم السلام يثبتون
بتلك البراهين والامثلة المحسوسة والتعجب من
النشأة الاولى اكثر من النشأة الاخرى الا ان النشأة
الاولى محسوسة مشاهدة معتادة فسقط التعجب فانا
لو سمعنا ان انسانا حرك نفسه فوق امرأة مرارا
كما يحرك المختص خرج من بعض اجزائه مثل زبد سيال
فيختفي ذلك الشيء في بعض اعضاء المرأة ويبقى مدة
على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة يصير مضغة
ثم المضغة يصير عظاما ثم يكسوا العظام لحما ثم يحصل

فيه الحركة ثم يخرج من موضع لم يعهد خروج شيء منه
على حالة لا يهلك امه ولا يشق عليها ولادته ثم
يفتح عينيه ويحصل في ثدي الام شراب نافع شيء
لم يكن فيها قبل ذلك ويغتذي به الطفل الى ان
يصير بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات
بل ربما يكون هذا الذي اصله نطفة وهو عند الولادة
اضعف خلق الله عن قريب ملكا جبارا يملك
اكثر العالم ويتصرف فيها فان التعجب من ذلك اكثر
واوفى من التعجب من النشاة الاخرى والاصل
ان كل شيء لم يشاهده الانسان ولم يعرف سببه
يحصل له منه التعجب والتعجب قد يحصل للانسان عند
مشاهدة شيء لم يشاهده قبل او سماع شيء لم يعرف
سببه ولم يسمعه قبل **فصل** تعلق النفس بالجسد
كالحجاب لها عن حقايق الامور وبالموت ينكشف
الغطاء كما قال الله تعالى فكشفنا عنك غطاءك
ومما ينكشف له باثر اعماله مما يقربه الى الله تعالى
او يبعده ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد

تاثيرا من البعض وفي قدرة الله تعالى ان يجري سببا
يعرف الخلق في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة
الى تاثيرها بالتقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز
به الزيادة من النقصان ومثاله في العالم المحسوس
مختلف فمنه الميزان المعروف والقبان للاثقال
والاسطرلاب لحركات الافلاك والاوقات و
المسطرة للمقادير والخطوط والعروض لمقادير
حركات الاصوات والميزان الحقيقي اذا مثله الله تعالى
للحواس مثله بما شاء من هذه الامثلة او غيرها فحقيقة
الميزان وحده موجود في جميع ذلك وهو ما يعرف
الزيادة من النقصان وصورته يكون موقوفة للحس
عند التشكل وللخيال عند التمثيل والله اعلم بما يتقدر
من صنوف التشكيلات والتصديق واجب **فصل**
والحساب جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها
وما من انسان الا وله اعمال متفرقة نافعة وضارة
ومقربة ومبعدة لا يعرف فذلكها وقد لا يحصي احاد
متفرقاتها فاذا احصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان

حسابا فان كان فى قدرة الله تعالى ان يكشف فى
لحظة واحدة للعالمين متفرقات اعمالهم ويبلغ اثارها
فهو اسرع الحاسبين ومعلوم ان فى قدرة الله تعالى
ذلك قادر هو اسرع الحاسبين قطعا وسئل امير المؤمنين
على رضى الله عنه كيف يحاسب الله الخلق فى لحظة من
غير تشويش وغلط فقال رضى الله عنه كما يرزقهم
مع ساير الحيوانات بلا تشويش **فصل** الصراط
عبارة عما لا مناسبة بين دقته ودقة الشعر وحدته
وحدة السيف وهو فى الدور مثل الخط الهندسى
والصراط المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقى بين الاخلاق
المتضادة كذلك بيننا الله تعالى بهذا الدعاء فى سورة
الفاتحة حيث قال اهدنا الصراط المستقيم وقال فى
حق المصطفى عليه السلام وانك لتهدى الى صراط مستقيم
وقال الله تعالى فى شانه وانك لعلى خلق عظيم مثال السخاوة
بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن
والتواضع بين التكبر والدناءة والعفة بين الشهوة
والجمود فهذه الاخلاق لها طرف افراط وتفريط

وهما مذمومان والوسط ليس من الافراط والتقصير
فهى على السنة من كل طرف ولذا قال عليه السلام خير
الامور اوسطها ومثال ذلك الوسط الخط الهندسى
الفاصل بين الظل والشمس لا من الظل ولا من الشمس
والتحقيق فى ذلك ان كمال الادمى فى المشابهة
بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة
وليس فى امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية
فكلفه الله تعالى بما يشبه الانفكاك وان لم يكن حقيقة
الانفكاك وهو الوسط فان الفاتر لا بارد ولا حار
والعودى لا ابيض ولا اسود فالبخل والتبذير من
صفات الانسان والمقصد السخى كانه لا بخيل
ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين
الذى لا ميل له الى الجانبين وهو ادق من الشعر فالذى
يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط
ولو فرضنا حلقة جديدة محماة على النار ووقعت
نملة فيها وهو يهرب بطبعها من الحرارة فلا يموت
الا على المركز لانه الوسط الذى هو غاية البعد من المحيط

المحرف وتلك النقطة لاعرض لها فاذن الصراط المستقيم
هو الوسط بين الطرفين ولا عرض له فهو ادق من الشعر
ولذلك خرج من القدرة البشرية الوقوف عليه
فلاجرم لا يرد منا لنا الا انه بقدر ميله عنه كما قال
الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
وقال ولا تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل
الميل فان العدل بين المرائين في المحبة والوقوف على
درجة متوسطة لا ميل فيها الى احدهما كيف يتيسر تحت
الامكان فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم
الذي حكى الله تعالى حقيقته على النبي عليه السلام وان
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه امر على صراط الاخرة مستويا
من غير ميل وجاء في الحديث يمر به المؤمن اي عن
الصراط كالبرق الخاطف **فصل** اللذات المحسوسة
الموجودة في الجنان من اكل وشرب ونكاح تجب
التصديق بها لامكانها وهي كما تقدم حسي وخيالي
وعقلي اما الحسي فبعود الروح الى البدن كما ذكرنا
واما الكلام ان بعض هذه اللذات مما لا يرغب فيها

مثل اللبن والاستبرق والطلح المنضود والسندس
المخضود فهذا مما خوطب به جماعة يعظم ذلك في
اعينهم ويشتهون غاية الاشتهاء وفي كل صنف وفي
كل اقليم مطاعم ومشارب وملابس مختص بقوم دون
قوم ولكل واحد في الجنة ما يشتهيه كما قال تعالى وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقال ايضا ولكم فيها
ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون وربما يعظم
الله تعالى في الاخرة شهوة فلا يكون تلك الشهوة معظمة
في دار الدنيا كالنظر الى لقاء الله تعالى وتعكس فان
الشهوة والرغبة الصادقة منها في الاخرة دون الدنيا
واما الخيالي ولذته كما في النوم الا انه مستحقر لانقطاعه
عن قريب فلو كانت دائمة لم يدرك فرق بين الخيالي
والحسي لان التذاذ الانسان بالصور من حيث انطباعها
في الخيال والحس لا من حيث وجودها عن خارج فلو
وجد من خارج ولم يوجد في حسه الانطباع فلا لذة
ولو بقي المنطبع في الحس وعدم في الخارج لدامت اللذة
وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا

العالم الا ان صورها المخترعة متخيلة وليست بمحسوسة ولا
منطبعة في القوة الباصرة فانك لو اخترع صورة
جميلة في غاية الجمال وتوهمت حضورها ومشاهدتها
لم يعظم لذة لانه ليس يصير مبصرا كما في النوم ولو كانت
له قوة على تصويرها في القوة الباصرة كما له قوة على
تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت لذته ونزلت
منزلة الصورة الموجودة من خارج ولا يفارق الاخرة
الدنيا في هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصوير
الصورة في القوة الباصرة وكل ما تشتهيه فيحضر عنده
في الحال فيكون شهوته بسبب تخيله وتخيله سبب لابصاره
اي سبب انطباعه في القوة الباصرة ولا يخطر بباله شيء
يميل اليه الا ويوجد في الحال اي حوله بحيث يراه واليه
الاشارة بقوله عليه السلام ان في الجنة سوقا يباع
فيه الصور والسوق عبارة عن اللطف الالهي الذي هو
منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشية وانطباع القوة
الباصرة انطباعا ثابتا الى دوام المشية الى انطباعا
مو يعرض الزوال من غير اختيار كما في النوم في هذا العالم

وهذه القدرة اوسع واكمل من القدرة على الايجاد
خارج الحس لان الموجود من خارج الحس لا يوجد
في مكانين واذا صار مشغولا به محجوبا عن غيره
واما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق ولا منع حتى اذا
اشتهى مشاهدة النبي مثلا الف شخص في الف
مكان في حالة واحدة لشاهدوه كما خطر ببالهم
في اماكنهم المختلفة والى الابصار الحاصل عن شخص
النبي الموجود من خارج الحس لا يكون الا في مكان
واحد وحمل الاخرة على ما هو اوسع واتم للشهوات
ووافق بها اولى ولا يقص عمي وسها في الوجود
واما الوجود الثالث فهو الوجود العقلي ان يكون
هذه المحسوسات امثلة للذات العقلية التي ليست
بمحسوسة لكن العقليات ينقسم الى اقسام كثيرة مختلفة
اللذات كالحسيات فيكون الحسيات امثلة
لها وكل واحد يكون مثالا للذة اخرى مما رتبته
في العقليات يوازي رتبة المثال في الحسيات
فانه يوازي في المنام الماء الجاري والوجه الحسن

والانهار المطردة باللبن والعسل والخمر والاشجار
المزينة بالجواهر واليواقيت واللآلي والقصور
المبنية من الذهب والفضة والسرير المرصعة لكان
المعبر لا يحمله على نوع واحد بل يحمل كل واحد على نوع
آخر من السرور وقرة العين فيرجع بعضه الى سرور
العلم وكشف المعلومات وبعضه الى سرور المملكة
ونفاذ الامر وبعضه الى قهر الاعداء وبعضه الى مشاهدة
الاصدقاء ان شمل الجميع اسم اللذة والسرور فهي مختلفة
المراتب مختلفة الذوق لكل واحد مذاق يفارق
الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغي ان نفهم كذلك
وان كانت مما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه الاقسام ممكنة فيجوز
ان يجمع بين الكل ويجوز ان يكون نصيب كل واحد
بقدر استعداده والمشغوف بالتقليد والجمود
على الصور الذي لم ينفتح له طرف الحقايق يمثل له
هذه الصورة والعارفون المستقصرون لعالم الصور
واللذات يلبونهم ويسعى بشرهم وشهوتهم اذ حد

الجنة ان فيها لكل امرء ما يشتهيه واذا اختلف
الشهوات لم يبعد ان يختلف العقليات واللذات
والقدرة واسعة والقوة البشرية عن الاحاطة
بعجايب القدرة قاصرة والرحمة الالهية الفت
بواسطة النبوة الى كافة الخلق الذي احتملته افهامهم
صحت التصديق مما فهموه والاقرار بما وراء منتهى
الفهم من امور يليق بالكرم الالهي ولا يدرك بالفهم
البشري وانما يدرك في مقعد صدق عند مليك
مقتدر **فصل** اما التقرب بمشاهدة الانبياء
والائمة عليهم السلام فان المقصود من الزيارة الاستمداد
من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من ارواح الانبياء
والائمة عليهم السلام والعبارة عن هذه الامداد
الشفاعة وهذا حصل من جهتين الاستمداد من هذا
الجانب والامداد من الجانب الآخر ولزيارة المشاهد
اثر عظيم في هذين الركنين اما الاستمداد فهو بانصراف همة
صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على
الخاطر حتى يصير كلية همته مستغرقة في ذلك ويقبل بكليته

على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منبه لروح
ذلك الشفيع او المزور حتى يمده تلك الروح الطيبة
بما يستمد منها ومن اقبل في الدنيا بهمته وكليته على انسان
في دار الدنيا فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك
المقبل عليه ويحضره بذلك فمن لم يكن في هذا العالم فهو
اولى بالتنبه وهو مهيا لذلك التنبه فان اطلاع من هو
خارج عن احوال العالم الى بعض احوال العالم ممكن كما
يطلع في المنام على احوال من هو في الاخرة اهو مثاب
ام معاقب فان النوم صنف الموت واخوه فبسبب
النوم صرنا مستعدين لمعرفة احوال لم نكن مستعدين لها
في حال اليقظة فكذلك من وصل الى الدار الاخرة ومات
موتا حقيقيا كان بالاطلاع على هذا العالم اولى واحرى
فاما كلية احوال هذا العالم في جميع الاوقات لم يكن
مندرجة في سلك معرفتهم كما لم يكن احوال الماضين حاضرة
في معرفتنا في منامنا عند الرؤيا لا حاد المعارف مغيبات
ومخصصات منها همة صاحب الحاجة وهو استيلاء ذكر
صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة وكما

يؤثر مشاهدة صورة الجنة في حضور ذكره وخطوره
نفسه بالبال وكذلك يؤثر مشاهدة قالب الميت
وتربته التي هي حجاب قالبه فان اثر ذكر الميت في
اليقين عند غيبة قالبه ومشهده ليس كاثره في حال
حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظن انه قادر
على ان يحضر في النفس ذلك الميت عند غيبة مشهده
كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطاء فان للمشاهدة
اثرا بينا ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك
الميت لم يكن هذه الاستعانة ايضا جزافا ولا يخلو
من الرجاء قال عليه السلام من صلى علي مرة صليت
عليه عشر مرات ومن اجاب المؤذن حلت له شفاعتي
ومن زار قبري حلت له شفاعتي فالتقرب تعالى الله الذي
هو اخص الخواص به وسيلة تامة مخاصة للشفاعة والتقرب
بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل و
التقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه
ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب
بكل ما له مناسبة اليه تقرب موجب للقرب اليه ومقتض

للشفاعة فانه لا فرق عند الانبياء في كونهم في دار
الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة الا في طريق المعرفة فان
آلة المعرفة في الدنيا الحواس الظاهرة وللعقبى آلة يعرف
بها الغيب اما في كسوة مثال واما على سبيل التصريح واما
الاحوال في التقرب والقرب في الشفاعة فلا يتغير
والركن الاعظم في هذا الباب الامداد والاستمداد
من جهة المدد وان لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك
المدد فانه لو وضع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عصارة او سطح على عاص او مذنب نجا ذلك المذنب
ببركة تلك الذخيرة من العذاب وان كان في دار انسان
او بلدة لا يصيب واهلها وتلك البلدة ببركاتها
بلاء وان لم يشعر به صاحب الدار وساكن البلدة
فان اهتمام النبي عم علم وهو في العقبى مصروف الى ما
هو به منسوب ووقع مكاره الامراض والعقوبات
مفوضة من جهة الله تع الى الملايكة وكل ملك حريص على
اسعاف حرص النبي عم بهمته اليه عن غيره كما كان في
حال حيوته فان تقرب الملايكة بروحه بعد موته ازيد

٦١

من تقربهم به في حال حيوته وقد حكي ابا الطاهر
القرمطي رفع انسانا على عنقه حتى يخرب ميزاب
الكعبة فمات ذلك الانسان على عاتقه وان جماعة
من المصريين نقبوا في جوار روضة النبي عليه السلام
وقصدوا اخراج شخصه ونقله الى مصر كان ذلك في نصف
الليل فسمع اهل المدينة صوتا من الهوا احفظوا نبيكم
فاوقدوا السراج وراوا ذلك النقب ووجدوا جماعة من
المصريين موتى ونقل انه عليه السلام غرس غصنا رطبا
في قبر انسان وقال رفع الله عن صاحبه العذاب ما دام
هذا الغصن رطبا وذلك من بركات يديه صلى الله عليه
وسلم وكل من اطاع سلطانا وعظمه فاذا دخل بلدة
وراى فيها سهما من جهة ذلك السلطان او سوطا له
فانه يعظم في تلك البلدة فالملايكة يعظمون النبي عم
فاذا راوا اثر خاتم في دار او بلدة او قبر عظموا صاحبه
وخففوا عليه العذاب ولذلك ينفع الموتى ان يوضع
على قبورهم المصاحف ويكتب القران على رؤس قرا
طيس في ايدي الموتى ويتلى القران على رؤس قبورهم

ويوضع القراطيس

فهذه انواع المناسبات على حسب ما لنا يريد ان يسوى
كل مسموع مشروع على قصة معقولة والاصل في ذلك
ان ما فوق ما تصورته العقلاء امورا ورد الشرع
بها ولا يعلم حقايقها الا الله تعالى والانبياء الذين
هم وسايط بين الله وبين عباده وان اجتمع الحذاق
وتفكروا في سلك الموضوع وعلى مناسبة الاعداد
لسهولة الولادة حالة النطق ما عرفوا تلك المناسبة
والخاصية وكيف يطمع انسان ان يعرف حقايق
ما ورد به الشرع من الاوامر والنواهي في الاخبار
والوعد والوعيد وغير ذلك والعقل ضعيف
وتصرفه مختصر بالاضافة الى تلك العجايب والخواص
خاتمة ووصية وقد قررت يا اخي طيب الله
عيشك بعض ما يمكن التلويح اليه على وفق ما انتهى
فطانتي واوصيك ومن معك بالايمان بهذه الابواب
التي ورد الشرع بتصحيحها دون التوقف فيها ونعوذ
بالله من التوقف وشاهدي اليك من بعد ان وفقني
الله تعالى على مضنه آخر اسم المضنون به على غير

اهله احق واولى من هذا المصنف فان في هذا
مسائل ما قررتها في عدة مواضع ومسائل لم اقررها
الا في هذا المصنف اما المضنون الموجود فعزيمتي
على تقرير اشياء فيه لم اقررها في كتبي اللهم الا في
احياء العلوم فان فيه تلويحات واشارات
الى رموز لا يعرفها الا اهلها والله تعالى المغني
والهادي وهو حسبي واليه المصير ونعم الوكيل والنصير

كتاب المضنون به عن غير أهله مسألة سئل
عن قول الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين ما التسوية فقال ان التسوية فعل في المحل القابل
للروح وهو الطين في حق آدم والنطفة في حق أولاده
بالتصفية وتعديل المزاج فانه كما لا يقبل يابس محض كالتراب
والحجر ولا رطب محض كالماء بل تتعلق النار بمركب ولا كل
مركب فان الطين مركب ولا تشتعل فيه النار بل لا بد من
تركيب خاص وذلك بان يتردد الطين الكثيف في أطوار
الخليقة حتى تصير نباتا لطيفا فتتشبث به النار وتشتعل فيه كذلك
الطين بعد ان ينشيه الله خلقا بعد خلق في اطوار متعاقبة يصير

نباتا فيأكله الآدمي فيصير دما فتنتزع القوة المميزة المركبة
في كل حيوان من الدم صفوة الذي هو اقرب الى الاعتدال
فتصير نطفة فيقبلها الرحم فيمزج به مني المرأة فيزداد به اعتدالا
ثم ينضجه الرحم بحرارته فيزداد تناسبا حتى ينتهي في الصفاء و
استواء نسبة الاجزاء الى الغاية فيستعد لقبول الروح
وامساكها كالفتيلة التي تستعد عند شرب الدهن لقبول
النار وامساكها فالنطفة عند تمام الاستواء والصفاء تستحق
باستعدادها روحا تدبرها وتتصرف فيها فيفيض اليها
الروح من جود الجواد الحق الواجب لكل مستحق ما يستحقه
ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير منع ولا
بخل فالتسوية عبارة عن هذه الافعال المرددة لاصل النطفة

في الاطوار السالكة بها الى صفة الاستواء والاعتدال مسئلة
وسئل عن النفخ فقال النفخ عبارة عما اشتعل به نور الروح
في فتيلة النطفة وللنفخ صورة ونتيجة اما صورته فاخراج
الهوى من جوف النافخ في جوف المنفوخ فيه حتى تشتعل
الحطب القابل للنار فالنفخ سبب الاشتعال من صورة
النفخ الذي هو سبب في حق الله تعالى محال والمسبب غير محال
وقد يكنى بالسبب عن الفعل الذي يحصل السبب على سبيل المجاز
وان لم يكن الفعل المستعار منه كقوله سبحانه وتعالى غضب الله
عليهم وكقوله تعالى فانتقمنا منهم والغضب عن نوع تغير في
الغضبان يتاذى به ونتيجته اهلاك المغضوب عليه او ايلامه فعبر
عن نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام بالانتقام وكذلك

عبر عما نتج نتيجة النفخ بالنفخ وان لم يكن على صورة النفخ فقيل له
فالسبب الذي به اشتعل نور الروح في فتيلة النطفة
فقال هو صفة من الفاعل وصفة من القابل اما صفة الفاعل
فالجود الالهي الذي هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته
على كل موجود حقيقة وجوده ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة
ومثال ذلك فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند
ارتفاع الحجاب منها والقابل للاستنارة هي الملونات دون
الهوى الذي لا لون له واما الصفة القابل فالاستواء والاعتدال
الاعتدال الحاصل بالتسوية قال الله تعالى فاذا سويته
ومثال صفة القابل صقالة الحديد فان المرآة التي سترا الصداء
وجهها لا تقبل الصورة وان كانت الصورة محاذية له

فلو حاذته الصورة فاشتغل العاقل بصقله فلما حصلت الصقالة
له حدثت فيه الصورة من ذي الصورة المحاذية فكذلك اذا
حصل الاستواء في النطفة حدث فيها الروح من خالق الروح
من غير تغير في الخالق بل انما حدث الروح الآن لا قبله كما
ان الصورة فاضت من ذي الصورة على المرآة في حكم الوهم
من غير تغير حدث في الصورة ولكن كان لا يحصل من قبل لا لان
الصورة ليست مهياة لان تنطبع في المرآة لكن لان المرآة
لم تكن قابلة صقيلة فقيل له فالفيض فقال لا ينبغي ان يفهم
من الفيض ههنا ما يفهم من فيض الماء من الاناء على اليد فان
ذلك عبارة عن انفصال جزء من الماء في الاناء واتصاله باليد
بل افهم ما تفهمه من فيض نور الشمس على الحائط ولقد غلط قوم في

نور الشمس ايضا فظنوا انه ينفصل شعاع عن جرم الشمس و
يتصل بالحائط وينبسط عليه وهو خطأ بل نور الشمس سبب
لحدوث شيء يناسبه في النورية وان كان اضعف منه
في الحائط المتلون كفيضان الصورة على المرآة من ذي الصورة
لا بمعنى انفصال جزء من صورة الانسان واتصاله بالمرآة
بل على معنى ان الصورة مثلا سبب لحدوث صورة تماثلها
في المقابلة لمحاذاة الصورة وليس فيه انفصال واتصال
الا السببية المجردة فكذلك الجود الالهي سبب لحدوث
انوار الوجود في كل ماهية قابلة للوجود فيعبر عنه بالفيض
مسئلة فقيل له فقد ذكرت التسوية والنفخ فما الروح
وما حقيقته وهو حال في البدن حلول الماء في الاناء او حلول

العرض في الجوهر ام هو جوهر قايم بنفسه فان كان جوهرا
فمتحيز ام غير متحيز فان كان متحيزا فمكانه القلب او الدماغ
او موضع اخر وان لم يكن متحيزا فكيف يكون جوهرا غير متحيز
فقال هذا سوال عن سر الروح الذي لم يوذن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في كشفه لمن ليس له اهلا فان كنت من
اهله فاسمع واعلم ان الروح ليس بجسم يحل البدن حلول
الماء في الاناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول السواد
في الاسود والعلم في العالم بل هو جوهر وليس بعرض لانه يعرف
نفسه وخالقه ويدرك المعقولات والعرض لا يتصف بهذه
الصفات ولا هو جسم لان الجسم قابل للقسمة والروح لا ينقسم
لانه لو انقسم لجاز ان يقوم بجزء منه علم بالشيء وبجزء اخر جهل

بذلك الشيء الواحد بعينه فيكون في حالة واحدة عالما
بالشيء جاهلا به ولا يتناقض الضدان الا في محل واحد فالسواد
والبياض في جزئين من العين غير متناقض والعلم والجهل
بشيء واحد في شخصين غير محال فدل انه واحد لا ينقسم وهو
باتفاق العقلاء جزء لا يتجزى اي شيء لا ينقسم اذ لفظ الجزء
غير لايق به لان الجزء اضافة الى كل ولا كل هنا ولا جزء
الا ان يراد به ما يريد القايل بقوله الواحد جزء من
العشرة فاذا اخذت جميع الموجودات او جميع ما به قوام
الانسان في كونه انسانا كان الروح واحدا من جملتها
فاذا فهمت انه شيء لا ينقسم فلا يخلو اما ان يكون متحيزا او
غير متحيز فباطل ان يكون متحيزا اذ كل متحيز منقسم والجزء الذي

لا يتجزى باطل بادلة هندسية وعقلية واقربها انه لو فرض
جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من الطرفين يلقى من الوسط
غير ما يلقى الآخر فيجوز ان يقوم بالوجه الذي يلقاه هذا الطرف
علم وبالوجه الآخر جهل فيكون جاهلا عالما في حالة واحدة
وكيف لا ولو فرض بسيط مسطح من آخر لا يتجزى لكان الوجه
الذي يحاذينا ونراه غير الوجه الآخر الذي لا نراه فان
الواحد لا يكون مرئيا وغير مرئي في حالة واحدة ولكانت
الشمس اذا حاذت احد وجهيه استنار بها ذلك الوجه دون
الوجه الآخر فاذا ثبت انه لا ينقسم وانه لا يتجزى ثبت انه قايم
بنفسه وغير متحيز اصلا **مسئلة** قيل له فما حقيقة هذه الحقيقة •
وما صفة هذا الجوهر وما وجه تعلقه بالبدن اهو داخل فيه او هو

خارج عنه وهل هو متصل به او منفصل عنه فقال لا هو داخل فيه
ولا هو خارج عنه ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه لان
مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز و
قد انتفى ذلك عنه فانفك عن الضدين كما ان الجماد لا هو
عالم ولا هو جاهل لان مصحح العلم والجهل الحياة فاذا انتفت
انتفى الضدان فقيل له بل هو في جهة فقال انه منزه
عن الحلول في المحال والاتصال بالاجسام والاختصاص
بالجهات فان ذلك كله من صفات الاجسام واعراضها وهو
ليس بجسم ولا عرض في جسم بل هو متقدس عن هذه العوارض
• **فقيل له** اذا منع الرسول صلى الله عليه من افشاء سر
هذا السر وكشف حقيقة الروح فقال لان الافهام لا تحتمله

لان الناس قسمان عوام وخواص اما من غلبت على طبعه
العامية فهو لا يقبله ولا يصدق في صفة الله تعالى كيف
يصدق في صفة الروح الانساني ولهذا انكرت الكرامية والحنابلة
ومن كانت العامية اغلب عليه ذلك وجعل الاله سبحانه
جسما او لم يعقل موجودا الا متجسما مشارا اليه ومن ترقى
عن العامية قليلا نفى الجسمية وما اطاق ان ينفي عوارض
الجسمية فاثبت الجهة وترقى عن هذه العامية الاشعرية
والمعتزلة فاثبتوا موجودا لا في جهة فقيل لم لا
يجوز كشف هذا السر مع هولاء فقال لانهم احالوا ان
تكون هذه لغير الله فاذا ذكرت معهم كفروك فقالوا
انك تصف نفسك بما هو صفة الاله سبحانه وتعالى عما يقول

الظالمون علوا كبيرا على الخصوص فكانك تدعي الالهية
لنفسك فقيل لم احالوا ان تكون هذه الصفة
تعالى ولغيره فقال لانهم قالوا كما يستحيل في ذوات
المكان ان تجتمع اثنان في مكان واحد لانه لو اجتمعا
لم يتميز احدهما عن الآخر وكذلك لو وجد اثنان كل
واحد منهما ليس في مكان فلم يحصل التميز والفرقان و
لهذا ايضا قالوا لا تجتمع سوادان في محل واحد حتى قيل
المثلان يتضادان وان قيل فهذا الاشكال قوي فما جوابه
انهم اخطأوا حين ظنوا ان التميز لا يحصل الا بالمكان بل
يحصل التميز بثلثة امور احدها المكان كجسمين في مكانين
والثاني كسوادين في جوهر واحد في زمانين والثالث

يستحيل ان تجتمع اثنان في الامكان لانه
انما استحال جمع جسمين في مكان واحد

فقال جوابه

بالحد والحقيقة كالاعراض المختلفة في محل واحد مثل الطعم واللون
والبرودة في جسم واحد فان المحل واحد والزمان واحد
ولكن هذه معاني مختلفة الذات بحدودها وحقايقها فيتميز
اللون عن الطعم بذاته لا بمكان وزمان ويتميز العلم والقدرة
بذاته وان كان الجميع ليس بواحد فاذا لما تصور اعراضا
مختلفة الحقايق بذاتها في محل واحد فبان يتصور اشياء مختلفة
الحقايق بذاتها في غير اولا فصل فههنا دليل آخر على
احالة ما ذكرتموه اظهر من التفرقة وهو ان هذا تشبيه واثبات
لاخص وصف الله تعالى في حق الروح فقال هيهات فان
قولنا عالم قادر سميع بصير متكلم والله تعالى كذلك ليس فيه
تشبيه لانه ليس بذلك الوصف الها فكذلك البراءة عن المكان

والجهة ليس اخص وصف الاله بل اخص وصفه انه قيوم اي
قايم بذاته وكلما سواه قايم به وانه موجود بذاته لا بغيره و
كل ما سواه موجود بذاته بل ليس للاشياء من ذاتها الا العدم
وانما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية والوجود لله
تعالى ذاتي ليس بمستعار وهذه الحقيقة اعني القيومية ليست الا
لله تعالى مسئلة قيل له ذكرت معنى التسوية والنفخ و
الروح ولم تذكر معنى النسبة في الروح وانه لم قال فيه من
روحي فلم نسبه الى نفسه فان كان ذلك لان وجوده
منه فجميع الاشياء ايضا منه وقد نسب البشر الى الطين
فقال تعالى اني خالق بشرا من طين ثم قال نفخت فيه
من روحي وان كان معناه انه جزء من الله تعالى خاص

على هذا القالب كما يفيض المال على السائل من المعطي فيقول
افضت عليه من مالي فهذه تجزية لذات الله تعالى وقد بطل
هذا وذكرتم ان الافاضة ليست بمعنى انفصال جز فقال
هذا كقول الشمس لو نطقت وقالت افضت على الارض من
نوري فيكون صدقا ويكون معنى النسبة ان النور الحاصل
من جنس نور الشمس بوجه من الوجه وان كان في غاية
الضعف بالاضافة وقد علمت ان الروح منزه عن الجهة
والمكان وفي قوته العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها
وهذه مضاهات ومناسبة فلذلك خصص بالاضافة وهذه
المضاهات ليست هي للجسمانيات اصلا مسئلة قيل له فما
معنى قوله تعالى قل الروح من امر ربي وما معنى عالم الامر

وعالم الخلق فقال كلما وقع عليه مساحة وتقدير وهي الاجسام
وعوارضها يقال له عالم الخلق والخلق ههنا بمعنى التقدير لا
بمعنى الايجاد والاحداث يقال خلق الشي بتقدير اي بقدر
وما لا كيفية له ولا تقدير يقال انه امر رباني وذلك
للمضاهات التي ذكرناها وكل ما هو من هذا الجنس من ارواح البشر
وارواح الملايكه يقال انه من عالم الامر فعالم الامر عبارة
عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان
والتحيز وما لا يدخل تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية
عنه مسئلة فقيل له هذا يوهم ان الروح ليس مخلوقا
فهو قديم فقال قد توهم هذا جماعة وهو جهل بل نقول
الروح غير مخلوق بمعنى انه مقدر بكمية فانه لا ينقسم ولا يتحيز

لكنه مخلوق بمعنى محدث وليس بقديم وبرهان حدوثه
طويل ومقدماته كثيرة لكن الارواح البشرية حدثت
عند استعداد النطف للقبول كما حدثت الصورة من
المرآة بحدوث الصقالة وان كان ذو الصورة سابق
الوجود على الصقالة واجاز هذا البرهان ان الارواح
لو كانت موجودة قبل الابدان لكانت اما كثيرة او
واحدة وباطل وحدتها وكثرتها فباطل وجودها وانما استحالت
وحدتها بعد التعلق بالابدان لعلمنا ضرورة بان ما يعلمه
زيد يجوز ان يجهله عمرو ولو كان الجوهر العاقل منهما واحدا
لاستحال اجتماع الضدين فيه كما يستحيل في زيد وحده ونعني
بالروح الجوهر العاقل ومحال كثرتها لان الواحد مستحيل ان

الحق ان

يتثنى وان ينقسم اذا لم يكن ذا مقدار كالاجسام والجسم
ينقسم فانه ذو مقدار فله بعض فيتبعض اما ما لا بعض له
ولا مقدار فكيف ينقسم واما تقدير كثرتها قبل التعلق
بالبدن فمحال لانها اما ان تكون متماثلة او مختلفة وكل
ذلك محال وانما استحال التماثل لان وجود المثلين
محال في الاصل ولهذا يستحيل وجود سوادين في محل و
جسمين في مكان لان الاثنينية يستدعي مغايرة ولا
مغايرة بين الاثنين وسوادان في محلين جايز لان
هذا يفارق ذلك في المحل اذا اختص بمحل لا يختص به الاخر
وكذلك يجوز في محل واحد في زمانين اذ لهذا وصف
ليس للآخر وهو الاقتران بهذا الزمان الخاص فليس في الوجود

مثلان مطلقا بل بالاضافة كقولنا زيد وعمرو مثلان
في الانسانية والجسمية وسواد الحبر والغراب مثلان
في السوادية ومحال تغايرهما لان التغاير نوعان احدهما
باختلاف النوع الآخر والماهية كتغاير الماء والنار
وتغاير السواد والعلم والثاني بالعوارض التي لا تدخل
في الماهية كتغاير الماء الحار والماء البارد فان كان
تغاير الارواح البشرية بالنوع فمحال لان الارواح
البشرية متفقة في الحد والحقيقة وهي نوع واحد وان كانت
متغايرة بالعوارض فمحال لان الحقيقة الواحدة انما تتغاير
عوارضها اذا كانت متعلقة بالاجسام منسوبة اليها بنوع ما
اذ الاختلاف في اجزاء الجسم ضرورة ولو في القرب من

السماء والبعد منه مثلا اذا لم يكن كذلك كان الاختلاف
محالا وهذا مما يحتاج تحقيقه الى مزيد في تقرير ذلك
وهذا القدر ينبه عليه فقيل له كيف يكون حال الارواح
بعد مفارقة الاجساد ولا تعلق لها بالاجسام فكيف
تكثرت وتغايرت فقال لانها اكتسبت بعد التعلق بالابدان
اوصافا مختلفة في العلم والجهل والصفاء والكدر مختلفة في حسن
الاخلاق وقبحها فبقيت متغايرة فعقل كثرتها بخلاف ما
قبل خلق الاجساد فانه لا يدرى تغايرها مسئلة فقيل له ما معنى
عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فقال الصورة نخ
اسم مشترك قد يطلق على ترتيب الاشكال ووضع بعضها
من بعض واختلاف تركيبها وهي الصورة المحسوسة وقد

تطلق على ترتيب المعاني التي ليست محسوسة وللمعاني
ترتيب ايضا وتركيب وتناسب ويسمى ذلك صورة فيقال
صورة المسئلة كذا وصورة الحادثة وصورة العلوم الحسية
والعقلية فالمراد بالتسمية في هذه الصورة هي الصور المعنوية
والاشارة الى المضاهاة التي ذكرناها ويرجع ذلك الى
الذات والصفات والافعال وحقيقة الروح انه قائم بنفسه
وليس بعرض ولا جسم ولا جوهر متحيز ولا يحل المكان والجهة
ولا هو متصل بالبدن والعالم ولا منفصل ولا هو داخل في
اجسام العالم والبدن ولا هو خارج وهذه كلها صفات
ذات الله تعالى واما الصفات فقد خلق حيا عالما قادرا مريدا
سميعا بصيرا متكلما والله تعالى كذلك واما الافعال فهذا

فعل الادمي ارادة يظهر اثره اولا في القلب ويسري
منه اثرا بواسطة الروح الحيواني الذي هو بخار لطيف في
تجويف القلب الى الدماغ ومن الاعصاب الى الاوتار
والرباطة المتعلقة بالعضل فتنجذب به الاوتار فتتحرك
الاصابع فيتحرك القلم بالاصابع والمداد بالقلم مثلا فيحدث
منه صورة ما يريد كتبه على وجه القرطاس على الوجه
المتصور في خزانة التخيل فانه ما لم يتصور في خياله صورة
المكتوب اولا لا يمكن احداثه على البياض ثانيا ومن
استقرى افعال الله سبحانه وكيفية احداثه النبات و
الحيوان على الارض بواسطة تحريك السموات والكواكب
وذلك بطاعة الملائكة له في تحريك السموات علم ان تصرف

الادمي في عالمه اعني بدنه يشبه تصرف الخالق في
العالم الاكبر وهو مثله وانكشف له ان نسبة القلب الى
تصرفه يشبه العرش ونسبة الدماغ نسبة الكرسي والحواس له
كالملائكة الذين يطيعون طبعا ولا يستطيعون لامره خلافا
والاعضاء والاعصاب كالسموات والقدرة في الاصبع
كالطبيعة المسخرة المركوزة في الاجسام والقرطاس والقلم والمداد
كالعناصر التي هي امهات المركبات في فنون الجمع والتركيب
والتفرقة وخزانة التخيل كاللوح المحفوظ فمهما اطلع بالحقيقة على
هذا الموازنة عرف معنى قوله عليه السلام ان الله تعالى خلق
آدم على صورته ومعرفة ترتب افعال الله تعالى معرفة
غامضة يحتاج فيها الى تحصيل علوم كثيرة وما ذكرناه اشارة

الى جملته مسئلة فقيل له فما معنى قوله من عرف نفسه
فقد عرف ربه فقال ان الاشياء تعرف بالامثلة المتناسبة
فلولا المضاهات المذكورة لم يقدر الانسان على الترقي
من معرفة نفسه الى معرفة الخالق فلولا ان الله تعالى جمع
في الادمي ما هو مثال جملة العالم حتى كانه نسخة مختصرة و
الربوبية والفعل والعلم والقدرة وساير الصفات
الالهية فصارت النفس بمضاهاتها وموازنتها مرقاة
الى معرفة خالق النفس وفي استكمال المعرفة بالمسئلة الى
قبل هذه ما يكشف عن وجه مانع المسئلة مسئلة قيل له ان
كانت الارواح حادثة مع الاجساد فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم خلق الله الارواح قبل الاجسام بالفي عام وقوله

انا اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا وكنت نبيا وآدم
بين الماء والطين فقال ليس شيئا من هذا يدل على
قدم الروح بل يدل على حدوثه وكونه مخلوقا نعم ربما دل
باظهاره على تقدم وجوده على الجسد وامر الظواهر هين
فان تاويله ممكن والبرهان القاطع لا يدفع بالظواهر بل
يتسلط على تاويل الظواهر كما في ظواهر التشبيه في حق الله تعالى
اما قوله عليه السلام خلق الارواح قبل الاجساد اراد بالارواح
ارواح الملائكة وبالاجساد اجساد العالم من العرش و
الكرسي والسموات والكواكب والنار والهوى والماء
والارض كما ان اجساد الادميين بجملتها صغير بالاضافة
الى جرم الارض وجرم الارض اصغر من الشمس بكثير ثم لا

نسبة لجرم الشمس الى فلكه ثم كذلك السموات التي فوقه
ثم كل ذلك اتسع له الكرسي اذ وسع كرسيه السموات
والارض والكرسي صغير بالاضافة الى العرش فاذا
فكرت في جميع ذلك استحقرت اجساد الادميين ولم
يفهمها من مطلق لفظ الاجساد وكذلك فاعلم وتحقق
ان ارواح الادميين بالاضافة الى ارواح الملائكة
كاجسادهم بالاضافة الى اجساد العالم الذي ذكرنا
ولو رايت ارواح البشر بالاضافة الى ارواح الملائكة
كانت الارواح البشرية كسراج اقتبس من نار عظيمة
طبقة العالم وتلك النار العظيمة هي الارواح الاخيرة من
ارواح الملائكة وللارواح الملائكة ترتيب وكل واحد مفرد

ترتيبه ولا يجتمع في مرتبة واحدة اثنان بخلاف الارواح
البشرية المتكثرة مع اتحاد النوع والمرتبة اما الملائكة
فكل واحد نوع براسه هو كل ذلك النوع واليه الاشارة
بقوله تعالى وانا لنحن الصافون وبقول الرسول عليه السلام
ان الراكع منهم لا يسجد والقايم لا يركع وانه ما منا احد
الا له مقام معلوم فلا يفهم اذاً من الارواح المطلقة ارواح
الملائكة واجساد العالم واما قوله عليه السلام انا اول
الانبياء خلقا وآخرهم بعثا فالخلق منها هو التقدير دون
الايجاد فانه قبل ما ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن
الغايات والكمال سابقة في التقدير لاحقة في الوجود وهو
المعني بقولهم اول الفكرة آخر العمل بيانه ان المهندس المقدر

للدار اول ما يتمثل صورته في تقديره هي دار كاملة
وآخر ما يوجد من اثر اعماله هي الدار الكاملة فالدار
الكاملة اول الاشياء في حقه تقديرا وآخرها وجودا
لان ما قبله من ضرب اللبنات والاحجار وبناء الحيطان
وتركيب الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهي الدار
فالغاية هي الدار ولاجلها تقدم الالات والاعمال فاذا
عرفت هذا فاعرف ان مقصوده فطرة الادميين ادراكهم
سعادة القرب من الحضرة الالهية ولم يكن ذلك الا بتعريف
الانبياء فكانت النبوة مقصودة بالايجاد والمقصود
وغايتها لا اولها وانما تكمل بحسب سنة الله بالتدريج فمهد
اصل النبوة بآدم عليه السلام ولم يزل ينمي ويكمل حتى

بلغ الكمال لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان المقصود كمال النبوة
وغايتها وتمهيد اوايلها وسيلة اليها كتاسيس البناء وتمهيد
اصول الحيطان فانه وسيلة الى كمال صورة الدار ولهذا السر
كان خاتم النبيين فان الزيادة على الكمال نقصان فالكف
شكل الالة الباطشة كف عليه خمس اصابع وكما ان ذا
الاربع ناقص فكذلك ذو الاصابع الستة ناقص لان السادسة الاصابع ٥
زيادة على الكفاية فهو نقصان بالحقيقة وان كان زيادة في
الصورة واليه الاشارة بقوله عليه السلام مثل النبوة مثل
دار معمورة لم يبق فيها الا موضع لبنة فكنت انا تلك
اللبنة او لفظ هذا معناه فاذا عرفت ان كونه خاتم النبيين
ضرورة لا يتصور خلافها اذا بلغ به الغاية والكمال والغاية

٩٩

اول في التقدير وآخر في الوجود وانا كنت نبياً و
ايضاه آدم بين الماء والطين اشارة الى ما ذكرناه وانه كان
نبياً في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام لانه لم ينشأ
خلق آدم الا لينبوع الصافي من ذريته ولا يزال يستصفي
تدريجا الى ان بلغ كمال الصفا فيقبل الروح المحمدي ولا
يفهم هذه الحقيقة الا بان تعلم ان للدار مثلا وجودين
وجود في الذهن المهندس حتى كانه ينظر الى صورة الدار
ووجود خارج الذهن في الاعيان والوجود الذهني
سبب لوجود الخارج العيني فهو سابق لا محالة فكذلك
فاعلم ان الله تعالى يقدر اولاً ثم يوجد على وفق التقدير
ثانيا وانما التقدير رسم في اللوح المحفوظ كما يرسم في

بتقدير المهندس اولا في لوح او قرطاس صورة الدار
فتصير الدار موجودة بكمال صورتها نوعا من الوجود ويكون
هو سببا للوجود الحقيقي فكما ان هذه الصورة ترسم في
لوح المهندس بواسطة القلم والقلم يجري على وفق العلم
بل العلم يجريه فكذلك تقدير صور الامور الالهية ترتسم
اولا في اللوح المحفوظ وانما ينتقش اللوح المحفوظ من القلم
والقلم يجري عليه وفق العلم فاللوح عبارة عن موجود يجريه
قابل لنقش الصورة والقلم عبارة عن موجود منه تفيض
الصورة على اللوح المنتقش فان حد القلم هو الناقش
صور معلومات وحد اللوح هو المنتقش بتلك الصور وليس
من شرطها ان تكونا من قصب وخشب بل ليس من شرطها

ان تكونا جسمين فالجسمية لا تدخل في حد القلمية وحقيقة
بل روح القلمية واللوحية ما ذكرناه والزايد عليه صورة
لا معناه فلا يبعد ان يكون قلم الله تعالى ولوحه لا يليقا
باصبعه ويده وكل ذلك على ما يليق بالالهية فيتقدس
عن حقيقة الجسمية بل جملتها جواهر روحانية عالمة بعضها
متعلمة كاللوح وبعضها معلمة كالقلم وان الله تعالى علم بالقلم علم ه
فاذا فهمت نوعي الوجود فقد كان نبيا قبل آدم
بمعنى الوجود الاول التقديري دون الوجود الثاني
الحسي مثله قول الرسول صلى الله عليه وسلم من مات
فقد قامت قيامته ليس المعنى به ما هو المراد بالقيامة
المطلقة بل هي قيامة خاصة ذكر تفصيلها في اول كتاب

القصبة من كتب الاحياء والقيامة المطلقة هي يعم الكافة
وذلك له ميعاد عند الله تعالى مخفي عن الخلق من الاسرار الله
اعلم به والاوقات وان كانت متشابهة لكن تجوز
في العقل اختصاص بعض المواقيت ببعض انواع الوجود
اما على مذهب المتكلمين فيحال ذلك على المشية كما يحال
باحداث القلم في بعض الاوقات على المشية مع ان
الاوقات متشابهة بالاضافة الى القدرة والى ذات
القديم واما على مذهب الفلاسفة فلا يلزم استحالته
ايضا لانهم متفقون على ان مبادي الحوادث حركات
الفلك وان ادوارها مختلفة فلذلك تختلف احكام
العلويات واحوال السفليات وليس من ضرورة كل

دورة ان ينوص عود مثلها فذلك خيال ضعيف
على مذهبهم بل تجوز ان يحدث دور وشكل لم يسبق له
نظير ولا يلحقه نظير ولذلك قد يحدث في بعض الادوار
حيوانات غريبة الشكل لم يعهد مثلها قط ولا يبعد ان
يكون الادوار متشابهة والاشكال الحاصلة من
تربيتها مختلفة فاذا فرضنا القاء حجرة في الماء يحدث
منها شكل مستدير فلو القينا قبل انقطاع حركة الاولى
لم يلزم ان يكون شكل بعد الحركة الثانية لحركة الاولى
لان الحجرة الاولى صادفت الماء ساكنا والثانية صادفته
الحجر متحركا فكان تسكينها للمتحرك خلاف تسكينها للساكن
فيختلف الاشكال مع تساوي الانتباه لامتزاج اثر السابق

باللاحق فعلى هذا لا يستحيل ان يكون في التقدير الاول
للادوار دور مخالف للدور المعهود يقتضي نمطاً من
الوجود والابداع على خلاف النمط المعهود ولا يستحيل
ان يكون ذلك بديعاً لم يسبق له نظير ولا ان يكون
حكمه ثابتاً لا يلحقه مثل الدور السابق المنسوخ فبقي النمط
الحاصل من الابداع مستمراً في جنسه فان كان يتبدل
احد احواله فيكون معتاداً والقيمة حصول ذلك الشكل
الغريب من الاسباب العالية ويكون ذلك سبباً
كاملاً جامعاً لجميع الارواح فيعم حكمها كافة الارواح
فيكون قيامة عامة مخصوصة بوقت لا يتسع القوة
البشرية لمعرفتها اعني لمعرفة وقتها ولا احد من الانبياء

ايضاً يكشف لهم ما يكشف على قدر احتمالهم وقبولهم فاذا
لم يقم برهان كلامي ولا فلسفي على استحالته وجب
التصديق به اذا ورد الشرع به تصريحاً فهم ذلك منه
على الضرورة فوجب الايمان به مسئلة انكار المنكر
لاعادة النفس الى الجسد في القبر ثم التفريق بينهما
ثم اعادتها في القيامة اليه مصيراً الى ان قوام الارواح
بلا بدن غير معقول انكار باطل فان قوام النفس دون
البدن ليس بمشكل بل المشكل تعلقه بالبدن وانه كيف
تعلق به وهو ليس حالاً فيه حلول الاعراض في الجواهر
فانه ليس بعرض بل هو جوهر قايم بنفسه فيعرف ذاته ويعرف
خالقه وصفات خالقه عز وجل وهو في هذه المعرفة والمعاني

ورودا لا يتطرق اليه الاحتمال
وقد صرح الشرع به صح

لا يحتاج الي شيء من الحواس اذ ليس شيء من هذه
المعاني محسوساً والانسان في حال ملابسة البدن قادر
على ان يقدر نفسه غافلاً عن المحسوسات كلها وعن السماء و
الارض وسائر الاجسام ويكون في تلك الحالة عارفاً
بذاته وبحدوث ذاته وبافتقاره الى محدث ذاته
ولا يشعر بشيء من محسوساته فذاته معقولة على هذا الوجه
والمتجرد ولذكر الله تعالى على الدوام في بداية طريقة
التصوف يفضي بالمتصوف الى هذا الحال حتى انه يعزب
عن ذهنه سوى الله ويعزب عنه ايضاً نفسه ولا يحضر في
شعوره شيء من المحسوسات والمعقولات سوى الحق
ولا يشعر بنفسه ولا بعدم شعوره ولا يشعر بشعوره بالحق

بل يكون شاعراً بالحق فقط وان الشعور بالشعور بالحق
غفلة عن الحق فالمعنى المجرد لمعرفة الحق كيف يحتاج
الى بدن وقالب وكيف لا يستغني بذاته عن الجسد
الذي هو مركب الحواس ولا يراد الا المحسوسات ومن
عقل حقيقة النفس وعلم قواه بذاته لم يستشكل ويعرفه بتسخيره
وتحركه بتحريكه كما يعلم تحريك الاصابع بتصريف الارادة
مع قطعه بان الارادة ليست في الاصبع لكن الاصبع
مسخرة لما ليس فيها فالنفس وان لم تكن في الجسد
مسخر لها فهل التسخير يجوز ان يحدث ويزول ويعود
ولا يستحيل في العقل شيء منه ويكون لعوده وزواله
اسباب ملكية وفلكية ونفسية ليس تحيط بها القوة البشرية

فعلى هذا الوجه يجب التصديق بما جاء به فيه من التفريق
والاعادة مسئلة الايمان بالميزان واجب لانه اذا
ثبت قوام النفس بجوهرها واستغنائها عن الجسد
فانها بذاتها مهياة لان تنكشف لها حقايق الامور
بعد الموت تنكشف الغطاء وتنجلي حقايق الامور ولذلك
قال الله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
وحما ينكشف له تاثير اعماله في تقربه من الله تعالى او
ابعاده ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تاثيرا
من بعض وفي قدرة الله سبحانه وتعالى ان يجري سببا
يعرف الخلق في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى
تاثيرها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به

الزيادة عن النقصان ومثاله في العالم المحسوس
مختلف فمنه الميزان المعروف والقبان والطيار
والاصطرلاب لحركات الفلك والاوقات
والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات
الاغاني فالميزان الحقيقي بنحو الامثلة او غيرها وحقيقة
الميزان وحده موجود في جميع ذلك وهو ما يعرف به
الزيادة من النقصان وصورته تكون موجودة
للحس عند التشكيل وللخيال عند التمثيل والله اعلم بما يقدره
من تشكيل حقيقي او تمثيل خيالي فالقدرة واسعة والتصديق
به واجب مسئلة الحساب يجب التصديق به لان الحساب
عبارة عن جميع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما

انسان الا وله اعمال متفرقة نافعة وضارة ومقربة
ومبعدة ولا تعرف وقد لا يحصر احاد متفرقاتها فاذا
احصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان فان كان في
قدرة الله ان ينكشف في لحظة واحدة للعالمين متفرقات
اعمالهم ومبلغ اثارهم فهو اسرع الحاسبين   الايمان
بالشفاعة واجب لانها عبارة عن نور يشرق من الحضرة
الالهية على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جواهر استحكمت
منها نسبتها مع جوهر النبوة بشدة المحبة وكثرة المواظبة
على السنن وكثرة الذكر له بالصلاة عليه ومثاله نور
الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع
مخصوص من الحائط دون جميع المواضع وانما يختص ذلك

الموضع بالمناسبة بينه وبين الماء في الموضع وتلك
المناسبة وتلك المناسبة منتفية عن سائر اجزاء الحائط
وذلك الموضع هو الذي اذا اخرج منه خط الى موضع النور
من الماء حصلت زاوية تلي الارض مساوية للزاوية
الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس بحيث
لا يكون اوسع منها ولا اضيق وهذا لا يمكن الا في موضع
واحد مخصوص في الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي
الاختصاص بانعكاس النور فالمناسبات المعنوية العقلية
ايضا تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية فمن استولى
عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الالهية
واشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولى عليه

الا قتدا بالرسول عليه السلام و محبة اتباعه ولم يترسخ
قدمه في ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته الا مع
الواسطة فافتقر الى واسطة في اقتباس النور كما يفتقر
الحايط الذي كان مكشوفا للشمس الى واسطة الماء المكشوف
للشمس والى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا
كالوزير المتمكن في قلب الملك المخصوص بالعناية فان
الملك يعفي عن جريمة اصحاب الوزير ويعفو عنهم لا لمناسبة
بين الملك وبين اصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير
المناسب للملك ففاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا
بانفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم تشملهم العناية اصلا الا ان
الملك لا يعرف اصحاب الوزير واظهار الرغبة في العفو شفاعة

على سبيل المجاز وانما التشفيع مكانته عند الملك وانما اللفظ
لاظهار الغرض والله تعالى مستغن عن التعريف ولو
عرف الملك حقيقة اختصاص غلام الوزير به لاستغنى
عن اللفظ وحصل العفو بشفاعة لا نطق فيها ولا كلام والله
تعالى عالم به فلو اذن للانبياء في التلفظ بما هو معلوم
الله لكانت الفاظهم الفاظ الشفعاء واذا اراد الله تعالى
ان يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل في الحس والخيال لم
يكن ذلك التمثيل الا بالالفاظ المألوفة في الشفاعة
وبذلك على انعكاس النور بطريق المناسبة ان جميع
ما ورد من الاخبار عن استحقاق الشفاعة متعلق بما تعليق
ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم عن صلوة عليهم او زيارة لقبره

او جواب المؤذن والدعاء له عقيبه وغير ذلك مما يحكم
علاقة المحبة له والمناسبة مسئلة الايمان بالصراط حق وكما
يقال انه مثل الشعر في الدقة ظلم في وصفه بل هو ادق من
الشعر بل لا مناسبة بينه وبين الشعر كما لا مناسبة في الدقة
بين الخط الهندسي الفاصل بين الشمس والظل الذي ليس
من الظل ولا من الشمس ودقة الصراط مثل دقة الخط الهندسي
الذي لا عرض له اصلاً لانه على مثال الصراط المستقيم وهو
في الدقة مثل الخط الهندسي والصراطُ المستقيم عبارة عن
الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير
والبخل وكالشجاعة بين الاسراف والتقتير وكالتواضع
بين التكبر والاسترسال وكالعفة بين الشهوة والجمود اذ

هذه الاخلاق المتضادة لها اطراف بافراط وتفريط
وهما مذمومان وبين الافراط والتفريط وسط وهو غاية
البعد من الطرفين وهو القصد وكأنه ليس من طرف
الزيادة ولا من طرف النقصان كالخط الفاصل بين
الظل والشمس ليس من الظل ولا من الشمس وهذا التحقيق
هو ان كمال الادمي في مشابهة الملائكة وهم منفكون
عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان
الانفكاك عنها بالكلية فكلف بما يشبه الانفكاك وان لم يكن
حقيقة الانفكاك وهو الوسط فان الفاتر كأنه لا حارّ
ولا باردٌ والعودي كأنه لا ابيض ولا اسود والبخل و
التقدير من صفات الانسان والمقتصد السخيّ كأنه لا بخيل

ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الطريق الحق الوسط بين
الطريقين الذي لا ميل له الى احد الجانبين وهو ادق من
الشعرة فالذي يطلب غاية البعد من الطريقين يكون
على الوسط ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار ووقعت
نملة فيها وهي تهرب بطبعها من الحرارة فلا تقف الا
على المركز لانه الوسط الذي هو في غاية البعد من
المحيط المحرق وتلك النقطة لا عرض لها فاذاً الصراط المستقيم
هو الوسط بين الطريقين ولا عرض له وهو ادق من الشعر
ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه حتى وجب
على كل شخص ان يكون وارداً على النار وروداً ما بقدره
مثله كما قال الله تعالى وان منكم الا واردها لذلك قال سبحانه

ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا
كل الميل فان العدل بين الرتبتين في المحبة والوقوف
على درجة متوسطة لا ميل فيها الى احدهما كيف يدخل
ذلك تحت الامكان فاذا فهمت هذا فاذاً مثل الله
تعالى لعباده في القيمة هذا الصراط المستقيم الذي يطالب
كل امرئ بالاستقامة عليه بمثل ما هو مثل الخط الهندسي الذي
لا عرض له فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم
مر على ذلك الصراط ولم يمل الى احد الجانبين لانه تعود
في هذا العالم التحفظ عن الميل فصار ذلك وصفاً طبيعياً
له فان العادة طبيعة ثانية فمر على الصراط المستقيم مستوياً
فهذا بين قطعاً كما ورد به الشرع مسئلة ما سألته عن البرهان

علي الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر فالقول فيه طويل عند من لا يعرفه وجيز عند العارف
فانك اذا عرفت انك حادث وان الحادث لا يستغني عن
المحدث فقد حصل لك البرهان على الايمان بالله تعالى وما
اقرب الى العقل باتين المعرفتين بمعنى انك حادث وان
الحادث لا يحدث نفسه فاذا عرفت نفسك وانك
جوهر خاصيتك معرفة الله تعالى ومعرفة ما ليس بالمحسوس
ليس البدن قوام ذاتك فانهدام البدن لا يعدمك
فقد عرفت اليوم الآخر بالبرهان فانه لا معنى له الا ان
لك يومين يوم حاضر انت فيه مشغول بهذا الجسد ويوم
آخر انت مفارق لهذا الجسد وان لم يكن قوامك بالجسد

وقد فارقته باليوم فقد حضر اليوم الآخر واذا عرفت
انك اذا فارقت المحسوسات بمفارقة الجسد بقيت اما منعما
بمعرفة الله تعالى التي هي خاصية ذاتك ومنتهى لذاتك
بمقتضى طبعك الاصلي لو لم تمرض بالميل الى الشهوات
او معذبا بالحجاب عن الله الذي هو منتهى شقوتك من
حب الدنيا واعراضها ولم يكن الطبع الاصلي حايلا بينك
وبين ما تشتهيه وعرفت ان سبب المعرفة الذكر والفكر
والاعراض عن غير الله تعالى وسبب المرض من معرفة الله
الاقبال على الشهوات والحرص على الدنيا وعرفت ان
الله قادر على ان يعرف عموم عباده ذلك بواسطة الكشف
لبعض خواص عباده عرفت انه قد فعل ذلك وقد عرفت

رسله بالبرهان وامنت واذا عرفت ان هذه التعريفات
للانبياء عليهم السلام اما ان تكون في كسوة الفاظ و
عبارات توحي اليهم ويلقى في سمعهم اما في يقظة او بمنام
فقد امنت بالكتب واذا عرفت ان افعال الله تعالى منقسمة
الى ما فعله بغير واسطة والى ما فعلت فان وسايط مختلفة
المراتب فالوسايط القريبة هم المقربون وعنهم يعبر بالملائكة
وبان لك ان معرفة هذا بطريق البرهان غير ممكن والقول
فيه طويل فصدق الرسل في اخبارهم عنهم بعد ان عرفت
صدق الرسل بالبرهان وكيف يدلك فانه درجة من
درجات الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات مسئلة اللذات المحسوسة الموعودة

في الجنة من ماكول وملبوس ومنكوح ومشموم يجب
التصديق بها لامكان ولا يعتقد امكانها على ثلثة اوجه امكان
حسي وخيالي وعقلي اما الحسي فلا يخفى معناه وامكانه كان
في هذا العالم فانه بعد رد الروح الى الجسد وقيام البرهان
على امكانه يجعل جميع ذلك في حيز الامكان ولا يمنع من
هذا ان بعض هذه اللذات ليست مستعطمة ولا مرغوبا
فيها رغبة بالغة كاللبن والخمر والطلح المنضود فان هذا
قد خوطب به جماعة مشتد رغبتهم فيها وفي الجنة كلها يشتهيه
كل احد يذا ما يشتهيه قوم شهوة صحيحة والذين لا يشتهون
ذلك ولا يستلذون لعظم ذاتهم يخلق لهم الشهوة و
ليس الوقاع مما يوجب ضرورة اللذة بل الفطرة اولا

تصدق الشهوة والى الله خلق الشهوات واللذات
بحسب الشهوات والناس كلهم الا من شاء الله لا
تصدق بواطنهم بلذة النظر الى وجه الله تعالى وان اقروا
به طاعة الا انهم اذا انفكوا عن المعرفة انفكوا عن الشوق
فانفكوا عن ادراك اللذة ولكن الله تعالى يقوي شهوتهم
ومحبتهم وصرفتهم حتى تعظم لذة الرؤية عندهم في الآخرة
واما الخيالي فلا يخفى امكانه ولذته كما في النوم الا ان
النوم مستحقر لانقطاعه على قرب فلو كانت دائمة لم
يظهر فرق بين الخيالي والحسي لان التذاذ الانسان
بالصورة من حيث انطباعها في الخيال والحس لا
من حيث وجودها من خارج فلو وجدت من خارج

ولم توجد في حسه بالانطباع لم تكن هناك لذة ولو بقي
المنطبع في الحس وعدم الخارج لدامت اللذة والقوة
المتخيلة قدرة على اختراع الصورة في هذا العالم الا
ان صورها المخترعة مختلفة وليست محسوسة ولا منطبعة
في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في
غاية الجمال وتوهم حضورها ومشاهدتها لم تعظم لذته لانه ليس
بصير مبصرا كما في النوم فلو كانت له قوة على تصويرها
في القوة الباصرة كما له قوة على تصويرها في القوة
المتخيلة لعظمت لذته ونزل منزل الصورة الموجودة
من خارج ولن تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى الا
من حيث كمال القدرة على تصوير الصورة في القوة الباصرة

فكلما يشتهيه تحضر عنده في الخيال فيكون شهوته سبب
تخيله وتخيله سبب ابصاره اي سبب انطباعه في القوة
الباصرة فلا يخطر شيء يميل اليه الا يوجد في الحال اي يوجد له
بحيث يراه واليه الاشارة بقوله عليه السلام ان في
الجنة سوقا يباع فيه الصور السوق عبارة عن اللطف
الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشية
ويكون انطباع القوة الباصرة به انطباعا ثابتا الى
دوام المشية لا انطباعا هو يعرض الزوال من غير اختيار
كما في النوم في هذا العالم وهذه القدرة اوسع واكمل
من القدرة على الايجاد خارج الحس لان الموجود خارج
الحس لا يوجد في مكانين فاذا صار مشغولا باستماع واحد

١١٢

ومشاهدته ومجالسته صار مستغرقا به محجوبا عن غيره واما
هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى لو اشتهى
مشاهدته صلى الله عليه وسلم الف شخص في الف مكان — النبي ع
في حالة واحدة لشاهده لما حضر بالهم في اماكنهم المختلفة
واما الابصار الحاصل في شخص النبي عليه السلام الموجود
من خارج الحس لا يكون الا في مكان واحد وحمل امر
الاخرة على ما هو اوسع واوفى كما يحمل امر السموات اختصاص
فهو اوفق لها واولى ولا يقصر عن رتبتها في الوجود
وجودها بالحس وانتفاء وجودها من خارج فان وجودها
مراد لاجله وحظه من وجوده وجوده في حسه فاذا وجد
فلا ينقص عن توفره حظه والباقي فضل لا حاجة اليه مراد لانه غير

طريق الى المقصود وقد تعين كونه طريقا في هذا العالم
الضيق الباصر واما في ذلك العالم فيتسع الطرق ولا يتغير
هذا الطريق واما الوجه الثالث في امكانه فهو الوجود
العقلي ان تكون هذه المحسوسات امثلة اللذات عقلية ليست
محسوسة لكن العقليات تنقسم الى انواع كثيرة فيجد اللذات
كالحسيات امثلة لها وكل واحد يكون مثالا للذة اخرى فما
رتبته في العقليات يوازي رتب المثال في الحسيات
وانه لو ترى رآ في المنام الخضرة والماء الجاري والوجوه الحسان
والانهار المملوة باللبن والخمر والعسل والاشجار المزينة
بالجواهر واليواقيت واللآلي والقصور المبنية من الذهب
والفضة والاسورة المرصعة بالجواهر والغلمان الماثلة

بين يديه للخدمة لكان المعبر عن نفس ذلك بالسرور
لا يحمله على نوع واحد بل يرد كل واحد على نوع آخر
وقرة العين يرجع بعضه الى سرور العلم وكشف المعلومات
وبعضه الى سرور المملكة ونفاذ الامر وبعضه الى قهر
الاعداء وبعضه الى مشاهدة الاصدقاء وهي وان
شملتها اسم اللذة والسرور ففي مختلفة المراتب مختلفة
الذوق لكل واحد مذاق يفارق الآخر وكذلك
اللذات العقلية ينبغي ان يفهم كذلك وان كانت مما
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فجميع هذه الاقسام ممكنة فيجوز ان يجمعن لكل واحد ويجوز ان
يكون نصيب كل واحد منه بقدر استعداده والمشغوف

بالتقليد والجمود على الصور الذي لم ينفتح له طرق الحقايق
تمثل له هذه الصور والعارفون المستبصرون لعلم الصور
واللذات المحسوسة تفتح لهم من لطايف السرور واللذات
العقلية يليق بهم ويشفي شربهم وشهوتهم اذ حد الجنة ان فيها
لكل امرء ما يشتهيه فاذا اختلفت الشهوات لم يبعد ان يختلف
العطيات واللذات والقدرة واسعة والقوة البشرية
عن الاحاطة بعجايب القدرة قاصرة والرحمة الالهية اقتضت
بوساطة النبوة الى كافة الخلق القدر الذي احتملته
افهامهم فيجب التصديق بما فهموه والاقرار بما وراءه منتهى
الفهم من امور ما يليق بالكرم الالهي فلا يفهم بالفهم البشري
ولا يدرك ذلك الا في مقعد صدق عند مليك مقتدر

مسئلة لعلك تقول هذه اللذات الحسية الخيالية
التي وعدت في الجنة لا تدرك الا بالقوة الحساسة
المتخيلة وهذه القوى جسمانية لا يتصور ايداعها الا
في الجسم فكذلك القبر وعذاب جهنم لا تدرك آلامها
الا بالقوى الجسمانية واذا فارقت الروح الجسد انحلت
الاجزاء واضمحلت القوة الخيالية والحسية فكيف
تمثل للمانع الزكوة شجاع اقرع ويسلط على الكافر في
القبر تنين له تسعة وتسعون رأسا كما في الخبر فهذه
الصور اما خيالية واما حسية وقد بطل الكل بالموت
فكيف سبيل اثباتها واعلم ان هذا يستنكره من يبطل
حشر الاجساد ويحيل رد النفس الى الجسد ويبتني القوم

على استحالته برهان حقيقي بل لا يبعد ان يوضع بعض
الاجسام ليحل النفس واحساسها بعد الموت لا في
القبر ولا في القيمة وكلما ذكره الاوايل في الدلالة
على احالته ليس ببرهان محقق الشرع قد ورد به فيجب
تصديقه ودليل انه ليس مبرهنا عند الفلاسفة وذلك
ان افضل متاخري الفلاسفة ابو علي بن سينا وقد
اثبت ذلك في كتاب النجاة والشفا وقال لا
يبعد ان يكون بعض الاجسام السماوية موضوعا لتخيل
النفس بعد الموت وحكى ذلك عمن عظم رتبته اذ قال
وقد قال من لا يجازف من العلماء ان ذلك غير ممتنع
وهذه الصفة تدل على انه شاك في هذا الاصل ولم يقم

عنده برهان عليه ولو كان محالا لاعنده لما وصف
قايله بانه لا يجازف بل اي مجازفة تزيد على
القول بالمحال وربما يقول قايل ان ذلك انما
ذكره على سبيل المجاملة والتقية والا فقد ذكر في
مسيلة التناسخ من كتاب النفس استحالة تناسخ
الابدان لنفس واحدة وذلك بعينه دليل ابطال
الحشر للاجساد فنقول ما ذكره في استحالة التناسخ
ايضا ليس ببرهان محقق فانه لو عاودت النفس جسدا
واستعد القبول فاضت اليه نفس من واهب الصور
فان المستعد يستحق بذاته قبول الصور فيؤدي الى ان
يفيض اليه نفس وتتعلق به النفس المتناسخة فيجتمع نفسان

بدنٍ واحدٍ هو محال وهذا الذي ذكره يمكن ان يستعمل
في اعادة حشر الاجساد لكنه ضعيف اذ يقال يجوز ان
يختلف الاستعدادات فيكون من الاستعدادات ما يناسب
النفس المفارقة الموجودة من قبل حتى تختص تدبرها و
لا يحتاج الى افاضة نفس جديدة فانه لو استعدت
في الارحام نطفتان لقبول النفس في حالة واحدة
فاضت اليهما نفسا من واهب الصور واختص لكل
واحد منهما نفسٌ وليس اختصاصه بالحلول فيه فان النفس
لا تحل في الاجساد حلول الاعراض لكن اختصاص النفس
باحد الجسمين المستعدين لمناسبة بينهما في الاوصاف
في احد المستعدين اختصاص احد النفسين دون الاخر فاذا

جاز هذا التخصيص في نفسين متماثلين فلم لا يجوز
في النفوس المفارقة اذا توفر على المستعد حقه من
النفس المفارقة المناسبة له لم لا يفيض اليه نفسٌ
جديدة يفيض اليه من واهب الصور او لا يفيض وتعر
هذا الكلام عويص لست اخوض فيه وانما المقصود بيان
ان من انكر حشر الاجساد لا برهان معه واذا لم يكن عليه
برهان عقلت الادراكات الحسية والخيالية بعد الموت
في القبر وفي القيامة فان قال قائل نحن نراه في القبر
لا حس له ولا حركة به قلنا وقد نرى صاحب السكتة كذلك
والادراك يجوز ان يقوم بجزء ضعيف يكاد لا يتجزى
ولو في باطن الميت ولا اعتماد عليه في عدم المشاهدة

بحركته **مسئلة** ورد في الخبر ان حسنات الظالم ينقل الى
ديوان المظلوم في القيامة وسيئات المظلوم ينقل الى
ديوان الظالم وربما يقول من لا يفهم اسرار النبوة ان
هذا محال لان الحسنات والسيئات عبارة عن اعمال
وحركات قد انقضت وانعدمت فكيف ينقل المعدوم
بل لو كانت باقية فهي اعراض فكيف ينقل الاعراض
وانا اقول نقل الحسنات والسيئات بسبب الظلم واقع
في الدنيا في وقت جريان الظلم لكن ينكشف في القيامة
فيرى طاعات نفسه في ديوان غيره لا ينقل في ذلك الوقت
بل ينقل في الدنيا كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار اخبر عن ذلك في الآخرة وهو كذلك

في الدنيا ولم تجدد ذلك في الآخرة لكن لا تنكشف حقيقة
لكافة الخلق الا في القيمة وما لم يعلم الانسان وليس
موجودا له فان كان موجودا في نفسه فاذا علمه صار
موجودا له وكانه وجد الآن في حقه فقد يعبر عن تجدده
عن تلك الحالة كما يتوهم تجدد الوجود فقد سقط بهذا
قول من قال المعدوم كيف ينقل فنقول ان المنقول
ثواب الطاعة وذلك شايع في التجوز والاستعارة
مسئلة ثواب الطاعة عرض او جوهر فان كان
عرضا فالاشكال في نقله قايم وان كان جوهرا فما ذلك
الجوهر **فاقول** اعني ثواب الطاعة اثر الطاعة في القلب
فان للطاعات تاثيرا في القلب في التنوير وللمعاصي

وان العرض كيف ينقل

تاثيرا بالقسوة والظلمة فبانوار الطاعة يستحكم مناسبة
القلب من استعداده لقبول المعرفة ومشاهدة الحضرة
الربوبية وبالقسوة والظلمة يستعد للبعد والحجاب عن
مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة مولدة لذة المشاهدة
بواسطة الصفا والنور الذي يحدث في القلب والمعصية
تولد الحجاب بواسطة الظلمة والقسوة التي تعقب في
القلب وبين اثار الحسنات والسيئات تعاقب وتضاد
ولذلك قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
وقال النبي عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها والالام
مخصصات الذنوب ولذلك قال النبي عليه السلام ان
الرجل يثاب حتى الشوكة تصيب رجله وقال الحدود

كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما تقسي
قلبه ويسوده فيمحو اثر النور الذي في قلبه من طاعة
وكانه احبط طاعته والمظلوم يتالم وتنكسر شهوته و
يستنير قلبه وتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من
اتباع الشهوات فانتقل النور الذي كان في قلب الظالم
الى قلب المظلوم وانتقل السواد من قلب المظلوم الى
قلب الظالم فهذا معنى نقل الحسنات والسيئات فان
قال قائل فليس هذا انتقالا حقيقيا بل حاصله راجع الى بطلان
النور من قلب الظالم وحدوث نور آخر في قلب
المظلوم وبطلان ظلمة من قلب المظلوم وحصول ظلمة في
قلب الظالم وليس هذا انتقالا قلنا اسم النقل قد يطلق

على هذا الجنس على سبيل الاستعارة كما يقال انتقل الظل
من موضع وانتقل نور السراج من الارض الى الحائط
كما يقول الطبيعي اذا استولت الحرارة في الصيف على
وجه الارض انهزمت الحرارة الى باطنها فكل انهزام
فهو انتقال وكما يقال تنقلت ولاية القضاء والخلافة من
فلان الى فلان وكل ذلك يسمى نقلا كنقل الولاية و
نقل الظل بحركة الشمس فالنقل الحقيقي ان يكون ما حصل في
المحل الثاني غير ما رحل عن المحل الاول فان كان مثله
ولم يكن عينه سمي ايضا نقلا مجازا فهذا معنى نقل الطاعات
وليس فيه الا انه كنى بالطاعة عن ثوابها كما يكنى بالسبب
عن المسبب وسمي انتقال الوصف في محل بابطال مثله في

محل آخر نقلا وكل ذلك شائع في اللسان ومعناه
معلوم بالبرهان لو لم يرد الشرع به فكيف اذا ورد
مسئلة سئلت عن رؤية الله في المنام وان ذلك
فيما اختلف فيه الناس فاعلم ان الخلاف في هذا غير
متصور بعد الكشف عن حقيقة المسئلة والحق انا نطلق
القول بان الله تعالى يرى في المنام كما نطلق بانه
يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ولكن من
لا يفهم رؤية الرسول في المنام ولعل العالم الذي
طبعه قريب من طباع العوام فهم ان من راى النبي
صلى الله عليه في المنام فقد حقيقة شخصه المودع في روضة
المدينة شق القبر وخرج من محلا الى موضع الرؤية وما شهد

كيف يفهم رؤية الله في المنام

جهله ان كان توهم ذلك فانه قد يرى الف رآ في
ليلة واحدة في الف موضع فكيف يرى شخص واحد
في الف موضع في لحظة واحدة وكيف يتصور شخص
واحد في حالة واحدة بصور مختلفة شيخ وشاب وطويل
وقصير وصحيح ومريض ويرى على جميع هذه الصور فمن انتهت
حماقته الى هذا الحد فقد انخلع عن غريزة العقل فلا ينبغي
ان يخاطب ولعله يقول ما نراه مثاله لا شخصه
فيقال هو مثال شخصه الذي هو لحمه ودمه وعظمه فاي حاجة
الى تمثيل شخصه وشخصه في نفسه متخيل ومحسوس ثم من
رآى شخصه بعد الموت دون روحه فكأنه ما رأى النبي
عليه السلام فكيف يكون رأيا ناله رؤية مثال شخصه بل الحق

انه مثال روحه المقدسة التي هي محل النبوة فما رآه
من الشكل ليس هو النبي عليه السلام وجوهره ولا
شخصه بل مثاله على التحقيق فاي معنى لقوله صلى الله
عليه وسلم من رآني فقد رآني لا معنى له الا ما رآه مثال
صار واسطة بيني وبينه في تعريف الحق اياه فكذا
ان جوهر النبوة اعني الروح المقدسة الباقية من النبي
عليه السلام بعد وفاته منزه عن اللون والشكل والصورة
لكن ينتهي تعريف ذاته الى الامة بواسطة مثال صادق
فهو حق ذلك المثال شكل له لون وصورة وان كان
جوهر النبوة منزها عن ذلك فكذلك ذات الله تعالى
منزه عن الشكل والصورة لكن ينتهي تعريفه الى

العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره من
الصور الجميلة التي تصلح ان تكون مثالا للجمال الحقيقي
المعنوي الذي لا صورة له ولا لون ويكون ذلك
المثال صادقا وحقا وواسطة في التعريف فيقول
الرائي رأيت الله سبحانه وتعالى في المنام لا بمعنى
اني رأيت ذاته كما يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
لا بمعنى انه رأى ذات روحه او ذات شخصه بل
بمعنى انه رأى مثاله فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم
له مثال والله تعالى لا مثل له قلنا هذا جهل بالفرق بين
المثل والمثال فليس المثال عن المساوي في جميع الصفات
والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة فان العقل معنى لا يدركه

مماثلة غيره مماثلة حقيقية وانما يضرب الشمس له مثالا
لما بينهما من المناسبة في شيء واحد وهو ان المحسوسات
تنكشف بالشمس كما تنكشف جميع المعقولات بالعقل
فهذا القدر من المناسبة كاف للمثال في النوم كما
يمثل السلطان بالشمس والقمر بالوزير والسلطان لا
يماثل الشمس بصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل
القمر الا ان السلطان له استعلاء على الكافة ويعم
امره الجميع والشمس تناسبه في هذا القدر والقمر واسطة
بين الشمس والارض في افاضة اثر النور كما ان
الوزير واسطة بين السلطان والرعية في افاضة
نور العدل فهذا مثال ليس بمثل والله تعالى فالله

نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب
درّي توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار واي
مماثلة بين نوره جل وعلا وبين المصباح والزجاجة
والمشكاة والشجرة والزيت وقال تعالى انزل من
السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا
رابيا الآية ذكر تمثيلا للقران والقران صفة قديمة
لا مثل له وكيف صار الماء مثل صفة الآية وكم من المنامات
عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رؤية اللبن
والجبل فقال اللبن هو الاسلام والجبل هو القرآن الى امثال

له لا تحصى واي مماثلة بين الاسلام الا في مناسبة
ان الجبل متمسك به للنجاة والقران متمسك به للنجاة
ايضا واللبن غذاء به يكون الحياة الظاهرة والاسلام
غذاء به تكون الحيوة الباطنة فهذه جملة مثال وليس
بمثل بل هذه الاشياء لا مثل لها فالله تعالى لا مثل له
لكن امثلة مجازية لمناسبات معقولة عن صفاته فانا
اذا عرفنا ان الله تعالى كيف يخلق الاشياء وكيف
يعلمها وكيف يريدها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام
بنفسه مثلنا جميع ذلك بالآيات ولولا ان الانسان
عرف من نفسه هذه الصفات لما عرف وافهم ان
مثاله في حق الله حق والمثل باطل فان قيل هذا التحقيق

الذي ذكرتموه ليس يفضي الى ان الله تعالى يرى في
المنام بل الى ان النبي عليه السلام ايضا لا يرى فان
المرا مثاله لا عينه وقوله من راني فقد راني فهو نوع
تجويز معناه كانه راني وما سمع من المثال كانه سمع
مني قلنا وهذا جار في القايل بقوله رايت الله تعالى
في المنام فاما انه يريد به انه راى ذاته على ما هو عليه فلا
فانه حصل الاتفاق على ان ذات الله تعالى وذات
النبي عليه السلام لا يرى في النوم وان مثالا يعتقده
النايم ذات الله تعالى او ذات النبي عليه السلام تجوز
ان يرى وكيف ينكر ذلك مع وجوده في المنامات
فان لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة انهم راوا ذلك

الا ان المثال المعتقد قد يكون صادقا وقد يكون
كاذبا ومعنى الصادق جعل الله اياه واسطة بين الرائي
وبين النبي عليه في تعريف بعض الامور وفي قدرة
الله تعالى على خلق مثل هذه الواسطة منه وبين العبد
وايصال الحق به وهو موجود فكيف ينكر امكانه
فان قيل اذا كان رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم
متجوزا والتجويز كما قد اذن في اطلاقه في حقه فلا يجوز
في حق الله تعالى من الاطلاقات الا ما ورد الاذن
به قلنا ورد الاذن باطلاق ذلك قال الرسول عم
رايت ربي في احسن صورة وهذا كما قد ورد في الاخبار
التي قد وردت في الصورة لله تعالى كقوله عليه السلام

خلق آدم على صورته وامثال ذلك وليس المراد به
صورة الذات اذ الذات لاصورة لها الا من
حيث التجلي بالمثال كما تجلى جبرئيل في صورة دحية الكلبي
وفي غيره من الصور حتى انه رأى مرارا كثيرة وما
رأى جبرئيل عليه السلام مثالا مؤديا عن جبرئيل عليه السلام
اوحي اليه وكذلك قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا واذا
لم يكن ذلك استحالة في ذات الملك وانه لا ينفي
جبرئيل عن حقيقة وصفه وان ظهر للنبي صلى الله عليه وسلم
في صورة دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق
الله تعالى في يقظة ولا منام فهذا ما يدل من جهة
الخبر على جواز اطلاقه وقد ورد من السلف اطلاق

في صورة دحية الكلبي بل بمعنى انه ظهرت تلك الصورة للرسول عليه السلام م

ذلك ونقل فيه آثار واخبار ولو لم يرد فيه
اطلاق لكنا نجوز اطلاق كل لفظ في حق الله تعالى
صادق لا يمنع منه ولا يحرم اذا كان توهم رؤية
الذات عند الاكثرين لكثرة تداول الالسنة له
فان فرض شخص توهم عنده خلاف الحق فلا ينبغي
ان يطلق معه القول بل يفسر له معناه كما يجوز لنا ان
نقول انا نحب الله تعالى ونشتاق اليكم زيد
لقاه وقد يسبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات
خيالات فاسدة والاكثر يتقمون معناه على وجه
من غير خيال فاسد فنرجح في هذه الاطلاقات
حال المخاطب فيجوز الاطلاق من غير كشف وتفسير حيث

نقول ه

لا ابهام وتجب الكشف عند الابهام وعلى الجملة

يرد الخلاف الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول

الاتفاق على محض المعنى من ان ذات الله تعالى

غير مرئية والمرائي مثال وظن من ظن استحالة

المثال في حق الله تعالى خطاء بل يعز

لله تعالى ولصفاته الامثال

ويتنزه عن المثل لا

عن المثال تم

كتاب التفرقة بين الزندقة و
الايمان قال الشيخ الامام السعيد حجة الاسلام
زين الدين ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه احمد الله تعالى استسلاما لعزته
واستتماما لنعمته واستغناما لتوفيقه ومعونته واستعصاما
من خذلانه ومعصيته واستدرارا لسوابغ رحمته و
اصلي على محمد عبده ورسوله وخير خليقته انقيادا لنبوته
واستجلابا لشفاعته وقضاء لحق رسالته واعتصاما
بيمن نقيبته وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد فاني
رايتك ايها الاخ الشفيق والصديق المتعصب موغر

الصدر منقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة
من الحساد على كتبنا المصنفة في اسرار معاملات بعض
الدين وزعمه ان فيها ما يخالف مذاهب الاصحاب
المتقدمين والمشايخ المتكلمين وان العدول عن مذهب
الاشعري كفر وان مباينته خسر فهون ايها الاخ
على نفسك ولا تضيق به صدرك وقل من غربك
قليلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا واستحقر
من لا يحسد ولا يقذف واستنقص من بالكفر والضلال
لا تعرف فاي داع اكمل من سيد المرسلين وقد قالوا
فيه انه ضال مجنون واي كلام اصدق من كلام رب
العالمين وقد قالوا فيه انه اساطير الاولين فاياك

ان تشتغل بخصامهم او تطمع في افحامهم فانك تطمع في غير
مطمع ويعرف من غير منبع اما سمعت قول القائل
كل العداوة ترجو صداقتها الا عداوة من عاداك في الدين
ولو كان فيه مطمع لاحد من الناس كما قال الله تعالى
وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا
في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية وقال تعالى
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما
سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين واعلم ان حقيقة الكفر
والايمان لا تنجلي للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال

وجهها وانما ينكشف لقلوب طهرت من اوصاف
الدنيا اولا ثم غسلت بالرياضة البالغة ثانيا ثم نورت
بالعلم ثالثا ثم زكيت بالشرع رابعا حتى فاض عليها
النور من مشكاة النبوة وصارت كانها مرآة مجلوة
وصار مصباح الايمان في زجاجة قلبه مشرق الانوار
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكيف يتجلى الملكوت
لقوم آلهتهم اهواؤهم ومعبودهم شياطينهم وقبلتهم
دنانيرهم وسواهم جاهاتهم وعبادتهم شهواتهم وذكرهم
وساوسهم وهمتهم استنباط الحيل في حشمتهم فهولاء من
اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان ابالالهام الالهي
ولم يفرغوا القلوب من كدورات الدنيا فيهابة المطلب

اعز من ان يدرك بالمنى او ينال بالهوينا فاشتغل
بشانك ولا تضيع فيهم زمانك واعرض عمن تولى عن
ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فصل واما انت
فخاطب خصمك وطالبه بحد الكفر والايمان فان زعم
ان الكفر ما يخالف الاشعري والحنبلي والمعتزلي فاعلم
انه غر بليد قد قيده التقليد فهو اعمى من العميان فلا تضيع
باصلاحه الزمان واسئله من اين ثبت كون الحق و
ما عليه حتى قضى بكفر الباقلاني اذ خالف في صفة البقا
لله تعالى وزعم انه ليس وصفا زايدا على الذات ولم صار
الباقلاني اولى بالكفر لمخالفة الاشعري من الاشعري بمخالفة
الباقلاني ولم صار الحق وقفا دون الثاني اذ ذلك

لاجل السبق في الزمان فقد سبق الاشعري غيره من
المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ام لاجل التفاوت
في الفضل والعلم فبأي مكيال او ميزان قدر درجات
الفضل حتى لاح له ان لا افضل في الوجود من متبوعه
ومقلده وان رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجر على
غيره وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي
وغيرهم وان زعم ان خلاف الباقلاني يرجع الى
لفظ لا تحقيق وراه وانهما متوافقان على دوام الوجود
والخلاف في ذلك راجع الى الذات او الى وصف
زايد عليه خلاف قريب لا يوجب تشديدا فما باله يشدد
القول على المعتزلي في بقية الصفات وهو معترف بان الله

تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات و
انما يخالف الاشعري في انه عالم قادر بالذات او بصفة
زائدة فما الفرق بين المخالفين واي مطلب اجل و
اخطر من صفات الحق تعالى في نفيها واثباتها فان قال
انما اكفر المعتزلي واشدد لانه يزعم ان الذات الواحد
تصدر عنها فائدة العلم والقدرة والحيوة وهي صفات
مختلفة بالحد والحقيقة يستحيل ان يوصف بالاتحاد او تقوم
مقامها الذات وهو مع كونه واحدا هو زبور وانجيل
وتورية وفرقان وهو ايضا امر ونهي وخبر واستخبار
وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق
والكذب ولا يتطرق ذلك الى الامر والنهي وكيف

والنظر ه

الواحد فما باله لا يستبعد الاشعري قوله ان الكلام صفة واحدة قايمة بالذات ه

يكون حقيقة واحدة يتطرق اليه التصديق والكذب
ولا يتطرق اليها ذلك فيجتمع النفي والاثبات فان
تخبط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء عنه فاعلم
انه ليس من اهل النظر وانما هو مقلد ينبغي ان نسكت عنه
لانه قاصر عن سلوك سبل الاحتجاج وان كان اهلا له
متبوعا لا تابعا واماما لا مأموما فان خاض المقلد في
المحاجة فذلك فضول والمشتغل به ضارب في حديد بارد
وطالب لاصلاح الفاسد ولن يصلح العطار ما افسد الدهر
ولعلك ان انصفت علمت ان من جعل الحق وقفا على
واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض اقرب اما
الكفر فلانه نزله منزلة النبي عليه وسلم المعصوم الذي لا

يثبت الايمان الا بموافقته ولا يلزم الكفر الا بمخالفته
واما التناقض فهو ان كل واحد من النظار موجب للنظر و
محرم للتقليد فكيف يقول يجب عليك النظر مع تقليدي
او يجب عليك ان تنظر ولا ترى في نظرك الا ما رايت
فكلما رايته حجة فعليك ان تعتقده حجة وما رايته شبهة
فعليك ان تعتقده شبهة فاي فرق بين من يقول
قلدني بمجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي
ودليلي جميعا وهل هذا الا تناقض **فصل** لعلك تشتهي
ان تعرف حد الكفر اعلم ان ذلك يطول ومدركه غامض
ولكني اعطيك علامة صحيحة مطردة منعكسة لتتخذها مطمح
نظرك وترعوي بسببها عن تكفير الفرق وتطويل اللسان في

أهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ما داموا يقولون
لا اله الا الله محمد رسول الله صادقين غير مناقضين
لها واقول ان الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام
في شيء مما جاء به والايمان هو التصديق له في جميع ما
جاء به فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول
عليه السلام والبرهمي كافر لانه انكر المرسل وهذا لان
الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا اذ معناه اباحة
الدم والحكم بالخلود في ومدركه شرعي اما بنص او قياس النار ه
على منصوص وقد وردت النصوص في اليهود و
النصارى والتحق بهم بطريق الاولى البراهمة والثنوية
والزنادقة والدهرية فكلهم مشركون في انهم يكذبون

بالرسل وكل كافر فهو مكذب للرسول وكل مكذب
للرسول فهو كافر فهذه العلة مطردة ومنعكسة **فصل**
اعلم ان هذا الذي ذكرناه تحته غور بل تحته كل الغرور
لان كل فرقة تكفر الاخرى وتنسبها الى تكذيب الرسول
فالحنبلي يكفر الاشعرية زاعما انه كذب الرسول في اثبات
جهة الفوق لله تعالى والاستواء على العرش والاشعري
يكفره زاعما انه مشبه وكذب الرسول عليه السلام في انه
ليس كمثله شئ والاشعري يكفر المعتزلي زاعما انه كذب
الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم و
القدرة والصفات والمعتزلي يكفر الاشعري زاعما ان
اثبات الصفات تكثير للقدماء وتكذيب الرسول في التوحيد

ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب
والتصديق وحقيقتهما وبذلك تنكشف لك غلو هذه
الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضا فاقول ان التصديق
يتطرق الى الخبر وحقيقته الاعتراف بما جاء به الرسول عم
واخبر عن وجوده الا ان الوجود خمس مراتب ولاجل
الغفلة تنسب صاحبها الى التكذيب فان الوجود
ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي فمن اعترف بوجود
ما اخبر الرسول عن وجوده بوجه من هذه الوجوه
الخمسة فهو مؤمن ولنذكر مثال هذه التاويلات اما الوجود
الذاتي فهو الوجود الحقيقي والثابت خارج الحس والعقل
لكن ياخذ الحس والعقل صورته فيسمى اخذه ادراكا لوجود

السماء والارض وما بينهما من ظاهر معروف واما الوجود
الحسي فهو ما يتصور في القوة الباصرة من العين حالا لا
وجود له خارج العين فيكون موجودا ويختص به الحاس
ولا يشاركه غيره وذلك كما نشاهد النائم بل كما نشاهده
المريض المسقط اذ قد يتمثل له صفة لا وجود لها خارج حسه
حتى يشاهده كما يشاهد ساير الموجودات الخارجية بل قد
يتمثل للانبياء والاولياء في اليقظة والصحة صور جميلة
محاكية لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحي والالهام
بواسطتها فيتلقون من امر الغيب في اليقظة ما يتلقاه
غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال الله
تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما ان الرسول عليه السلام

راى جبريل كثيرا ولكن ما راى على صورته الا مرتين
وقال من راني في المنام فقد راني فان الشيطان
لا يتمثل بي ولا يكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من
روضة المدينة الى موضع النائم بل على سبيل وجود
صورته في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره
طويل فان كنت لا تصدق به فصدق عليك فانك
تاخذ قبسا من نار كانه نقطة ثم تحركها بسرعة حركة
مستقيمة فتراه خطا وتحركها حركة مستديرة فتري دايرة
من النار والدايرة والخط مشاهدان وهما موجودان
في حسك لا في الخارج لان الموجود في الخارج
نقطة في كل حال وانما يصير خطا في اوقات متعاقبة

فلا يكون المخاطب في حالة واحدة وهي كانت في مشاهدتك
في حالة واحدة وأما الوجود الخيالي فهو صورة هذه
المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر ان تخترع
في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمض
العينين حتى كانك تشاهده وهو موجود بكمال صورته
في دماغك لا في خارج وأما الوجود العقلي فهو ان
يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه
دون ان يثبت صورته في خيال أو حس او خارج
كاليد مثلا فان له صورة محسوسة متخيلة وله معنى وحقيقة
وهو القدرة على البطش والقدرة على البطش هو اليد
العقلي والقلم صورة ولكن حقيقته ما يكتب به القلم وهذا

يتلقاه العقل من غير ان يكون مقرونا بصورة قصب
او خشب او غير ذلك من الصور الخيالية وأما
الوجود الشبهي فهو ان لا يكون نفس الشيء موجودا
لا بصورته ولا بحقيقته لا في خارج ولا في حس ولا في
خيال ولا في عقل ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه
في خاصة من مراتب وجود الاشياء **فصل** اسمع
الآن امثلة هذه الدرجات في التأويلات اما الوجود
الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذي يجري على الظاهر
ولا يتأول وهو الوجود الحقيقي المطلق وذلك كاخبار
الرسول عليه السلام عن العرش والكرسي والسموات
السبع فانه يجري على ظاهره اذ هذه اجسام موجودة في

انفسهما ادركت بالحس والخيال او لم تدرك واما الوجود
الحسي فامثلته في التاويلات كثيرة فاقنع منها بمثالين
احدهما قوله عليه السلام يؤتي بالموت يوم القيمة في
صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار فان من قام
عنده البرهان على ان الموت عرض او عدم عرض
فان انقلاب العرض جسما مستحيل عنده غير مقدور
فيأول الخبر على ان اهل القيمة يشاهدون ذلك و
يعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجودا في حسهم
لا في الخارج ويكون سببا لحصول اليقين بالياس من
الموت بعد ذلك اذ كان المذبوح مايوسا منه ومن
لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد ان نفس الموت

ينقلب كبشا في ذاته ويذبح والمثال الثاني قوله عليه
السلام عرضت علي الجنة في عرض هذا الحائط فمن
قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان
الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم ينتقل الى
الحائط لكن تمثل للحس صورته في عرض الحائط حتى كانه يشاهدها ه
ولا يستحيل مثال شيء كبير في جرم صغير كما يشاهد السماء
في مرآة صغيرة ويكون ذلك ابصارا مغايرا لمجرد
تخيل صورة الجنة اذ يدرك التفرقة بين ان ترى السماء
في المرآة وبين ان تغمض عينيك وتقدر صورة السماء
في المرآة على سبيل التخيل واما الوجود الخيالي فمثاله
قوله عليه السلام كاني انظر الى يونس بن متى عليه السلام

وعليه قطوانيتين وهو يلبي وتجيبه الجبال والله يقول له
لبيك يا يونس فالظاهر منه ان هذا اخبار عن مثل
هذه الصورة في خياله اذ كان وجود هذه الحالة
سابقا على وجوده صلى الله عليه وقد انعدمت فلم يكن
في الحال موجودا اذ لا يبعد ان يقال ايضا تمثل في حسه
حتى صار يشاهده مشاهدة النائم للصورة ولكن قوله
صلى الله عليه كاني انظر يشعر بانه لم يكن له حقيقة النظر بل
كالنظر والغرض التفهيم بالمثل لا عين هذه الصورة
وعلى الجملة مهما يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة
وقل ما يتميز بالزمان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل
واما الوجود العقلي فامثلته كثيرة ولكن اقنع منها بمثالين

احدهما قوله عليه السلام آخر من يخرج من النار
يعطى من الجنة عشرة امثال الدنيا فان ظاهر هذا
يشعر الى انه عشرة امثال بالطول والعرض والمساحة
وهو التفاوت الحسي والخيالي ثم قد يتعجب فيقال
الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف
يتسع السماء لعشرة امثال الدنيا والسماء ايضا من
الدنيا وقد يقطع العاقل هذا التعجب فنقول المراد به
تفاوت معنوي عقلي لا حسي ولا خيالي كما يقال في
المثل هذه الجوهرة عشر اضعاف الفرس اي في المالية
ومعناه المدرك عقلا دون مساحته المدركة في الحس
والتخيل الثاني قوله عليه السلام ان الله تعالى خمر طينة

آدم بيده اربعين صباحاً فقد اثبت لله تعالى يداً فمن
قام البرهان عنده على استحالة يد الله تعالى هي جارحة
غير محسوسة او متخيلة فيثبت ان لله تعالى يداً روحانية
عقلية اعني انه يثبت معنى اليد وحقيقته وروحه دون
صورة اليد اذ روح اليد ومعناه ما به يبطش ويفعل و
ويعطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بوساطة الملائكة
كما قال الله تعالى اول ما خلق الله العقل فقال بك اعطي و
امنع ولا يمكن ان يكون المراد به العقل الذي هو عرض
كما يعتقده المتكلمون اذ لا يمكن العرض ان يكون اول مخلوق
بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة تسمى عقلا من
حيث يعقل الاشياء بذاته وجوهره من غير ان يعلم

وربما سمي قلماً باعتبار انه ينقش حقايق العلوم في الواح
قلوب الانبياء والاولياء وساير الملائكة وحياً والهاماً
فانه قد ورد في حديث آخر ان اول ما خلق الله تعالى
القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل فقد تناقض الحديثان
ويجوز ان يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات
مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكاً باعتبار نسبته الى
الله تعالى في كونه واسطة بين الله تعالى وخلقه وقلماً
باعتبار ما يصدر عنه من نقش العلوم بالالهام والوحي
كما يسمى جبرئيل روحاً باعتبار ذاته وامينا باعتبار ما
اودع من الاسرار وذو مرة باعتبار قدرته وشديد
القوي باعتبار كمال قوته ومكيناً باعتبار قرب منزلته و

مطاعاً باعتبار كونه متطوعاً في حق بعض الملائكة فهذا
القائل يكون قد اثبت قلماً ويداً عقلياً لا حسياً ولا
خيالياً اما القدرة واما غيرها كما اختلف فيه المتكلمون
واما الوجود الشبهي فمثاله الغضب والشوق والفرح
والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فان الغضب
مثلاً غليان دم القلب لارادة التشفي وهذا لا
ينفك عن نقصان والم فمن قام عنده البرهان على
استحالة نفس الغضب لله ذاتياً وحسياً وخيالياً وعقلياً
نزله على ثبوت صفة اخرى تصدر عنها ما يصدر عن الغضب
كارادة العقاب والارادة لا تناسب الغضب في
حقيقة ذاته لكن في صفة من الصفات تقارنها واثر من الآثار

يصدر عنها وهو الايلام فهذه درجات التاويلات
فصل اعلم ان كل من تأول قولاً من اقوال
الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين
وانما التكذيب ان ينفي جميع هذه المعاني ويزعم ان ما
قاله لا معنى له وانما هو كذب وغرضه فيما قاله التلبيس و
مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة الخالصة
ولا يلزم الكفر للمتأولين ما داموا يلازمون قوانين التأويل
كما سنشير اليه وكيف يلزم الكفر به وما من فريق من
اهل الاسلام الا وهو مضطر اليه فابعد الناس عن التأويل
احمد بن حنبل رحمه الله وابعد التأويلات عن الحقيقة واقربها
الى ان يجعل الكلام مجازاً او استعارة هو الوجود العقلي و

الوجود الشبهي واحمد مضطر اليه وقايل به وقد سمعت
الثقات من ائمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن
حنبل صرح بتاويل ثلث احاديث فقط احدها قول النبي
عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في الارض والثاني
قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
والثالث قوله عليه السلام اني لاجد نفس الله من قبل
اليمن فانظر كيف تاول هذا لما قام عنده البرهان على
استحالة ظاهره هذه الاخبار فيقول اليمين يقبل تقربا الى
صاحبها والحجر الاسود يقبل تقربا الى الله تعالى فهو كاليمين
لا في الذات ولا في صفات الذات ولكن في عارض من
عوارضها فسمي يمينا وهذا هو الذي سميناه الوجود الشبهي وهو ابعد

وجوه التاويل فانظر كيف اضطر اليه ابعد الناس
عن التاويل وكذلك لما استحالت عنده وجود الاصبعين
لله تعالى حسا اذ من فتش عن صدره لم يشاهد فيه اصبعين
فتاوله على روح الاصبعين وهو الاصبع العقلي الروحاني
اعني روح الاصبع ما به تيسر تقليب الاشياء وقلب المؤمن
بين لمتين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى
القلوب فكنى باصبعين عنهما وانما اقتصر احمد بن حنبل على
تاويل هذه الثلثة الاحاديث لانه لم يظهر عنده الاستحالة
الا في هذا القدر لانه لم يكن ممعنا في النظر العقلي ولو امعن
لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة الفوق وغيره مما اوله
الاشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما جاوزا الى تاويل

ظواهر كثيرة واقرب الناس الي الحنابلة في امور الآخرة
الاشاعرة فانهم قرروا فيها اكثر الظواهر الا اليسير والمعتزلة
اشد منهم توغلاً في التاويلات ومع هذا فيضطرون الي
تاويل امور اعني الاشعرية كما ذكرناه في تاويل ذبح الموت
وكما ورد في وزن الاعمال وقال يوزن صحايف
الاعمال وتخلق فيها ثقلاً بقدر درجات الاعمال وهذا
رد الي الوجود الشبهي البعيد فان الصحايف اجسام كتب
فيها رقوم تدل بالاصطلاح علي اعمال هي اعراض قد نفقت
وليس الموزون اذاً نفس العمل بل محل نقش يدل علي العمل و
كذلك المعتزلي يتاول معني الميزان ويقول هو كناية
عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهذا بعيد عن

التعسف وليس الغرض تصحيح احد التاويلين بل العلم
ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر
الي التاويل الا ان تجاوز الحد في الغباوة والتجاهل
فيقول الحجر الاسود يمين الله تحقيقا والموت وان كان
عرضا فينقلب كبشا والاعمال وان كانت اعراضا و
قد عدمت فينقل الي الميزان ويكون فيها اعراض هي
الثقل ومن ينتهي الي هذا الحد من الجهل فقد انخلع من غريزة
العقل فصل فاسمع الآن قانون التاويل فقد عرفت
اتفاق الفرق علي هذه الدرجات الخمس في التاويل وان
شيئاً من ذلك ليس من حيز التكذيب واتفقوا ان جواز
ذلك موقوف علي قيام البرهان علي استحالة الظاهر و

حد المراتب الاول الوجود الذاتي فانه اذا ثبت تضمن
الجميع فان تعذر فالوجود الحسي فانه ان ثبت تضمن
ما بعده وان تعذر فالوجود الخيالي والعقلي فان تعذر
فالوجود الشبهي المجازي ولا رخصة في العدول عن درجة
الى ما دونها الا بضرورة البرهان فيرجع الاختلاف
على التحقيق الى البراهين اذ يقول الحنبلي لا برهان على
استحالة الرؤية وكل واحد ما يرتضي ما يذكره الخصم ولا يراه
دليلا قاطعا فكيف ما كان فلا ينبغي ان يكفر كل فريق
خصمه بان يراه غالطا في البرهان نعم يجوز ان يسمى ضالا
او مبتدعا من حيث انه ابتدع قولا لم يعهد من السلف
التصريح به اذ من المشهور بين السلف ان الله تعالى يرى

استحالة اختصاص الباري تعالى
بجهة الفوق يقول الاشعري
لا برهان عليه صح

فقول القائل لا يرى بدعة وتصرفه بتأويل الرؤية
بدعة بل ان ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة
القلب فينبغي ان لا يظهره ولا يذكره لان السلف لم
يذكروه لكن غير هذا يقول الحنبلي اثبات الفوق لله تعالى
مشهور عند السلف ولم يذكر احد منهم ان خالق العالم
ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه ولا داخلا فيه ولا
خارجا منه فان الجهات الستة خالية عنه فان نسبة
جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت فهذا قول مبتدع اذ
البدعة عبارة عن احداث قول لم يؤثر عن السلف وعند
هذا يتضح لك ان هنا مقامين احدهما مع عوام الخلق و
الحق فيه الاتباع عن تأويل الظاهر رأسا والحذر من انواع

التصريح بتأويلات لم يصرح بها الصحابة وحسم باب
الخوض رأساً والزجر عن الخوض فيما يتشابه من الكتاب
والسنة كما روي عن عمر انه سأله سائل عن آيتين متعارضتين
فعلاه بالدرة وكما روي عن مالك رحمه الله انه سئل عن قوله
تعالى على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والايمان به
واجب والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والمقام الثاني في
بين النظار الذين اضطربت عقايدهم بالمأثورات
المرويات فينبغي ان يكون نظرهم بقدر الضرورة وتركهم الظاهر
بضرورة البرهان القاطع ولا ينبغي ان يكفر بعضهم بعضاً
بان يراه غالطاً فيما يعتقده برهاناً فان ذلك ليس
امراً هيناً سهل المدرك ولكن البرهان بينهم قانوناً متفقاً

عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم
يمكنهم رفع الخلاف بالوزن وقد ذكرنا الموازين
الخمس في كتاب القسطاس المستقيم وهي التي لا يتصور
الخلاف فيها اصلا بل يعرف كل من فهمها انها مدارك
العقول اليقين قطعاً والمحيطون بها يسهل عليهم عند الانصاف
والانصاف كشف الغطاء ورفع الخلاف ولكنه لا يتحصل
بينهم الاختلاف ايضاً اما انه لقصور عن ادراك تمام
شروطه واما لرجوعهم في النظر الى محض القريحة والطبع
دون الوزن بالميزان كالذي يرجع بعد تعلم العروض
في الشعر الى الذوق فمتى قصر عن استكماله عرض كل شعر
على العروض فلا بعد ان يغلط واما اختلافهم في العلوم

التي هي مقدمات البراهين فان من العلوم التي هي
اصول البراهين تجربية وتواترية وغيرها والناس
مختلفون في التجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد
ما لا يتواتر عند غيره وقد يتولى تجربة ما لا يتولاه غيره
واما التباس قضايا الوهم بقضايا العقل واما التباس
المشهورات المحمودة بالضروريات والاوليات كما فصلنا
ذلك في كتاب محك النظر ولكن بالجملة اذا حصلوا تلك
الموازين وحققوها امكنهم الوقوف عند ترك المعيار على
مواضع الغلط على كثير **فصل** من الناس من بادر
الى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع فلا
ينبغي ان يبادر الى تكفيره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان

تأويله في امر لا يتعلق باصول العقائد ومهماته فلا يكفر
وذلك مثل قول بعض الصوفية ان المراد برؤية
الخليل عليه السلام [الكوكب] والقمر والشمس وقوله هذا ربي
غير ظاهره كقائل هي قال جواهر نورانية ملكية ونورانيتها
عقلية لا حسية ولها درجات متفاوتة في الكمال ونسبة
ما بينها من التفاوت نسبة الكوكب والقمر والشمس و
يستدل عليه بان الخليل اجل من ان يعتقد في جسم انه
اله حتى يحتاج الى ان يشاهد افوله افتراه لو لم يافل
اكان يتخذه الها ولم يعرف استحالة الالهية من حيث
كونه جسما مقدرا واستدل بانه كيف يمكن اول ما رآه
الكوكب مع ان الشمس هو الاظهر وهو اول ما يرى و

واستدل ايضا بان الله تعالى قال أولًا وكذلك نري
ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
وهذه دلالات ظنية وليست براهين اما قوله هو اجل
من ذلك فقد قيل انه كان صبيًا لما جرى له ذلك ولا
يبعد ان يظن انه سيكون في صباه مثل ذلك الخاطر ثم
يتجاوزه على قرب ولا يبعد ان يكون دلالة الافول
على الحدث اظهر من دلالة التقدير والجسمية واتارويه
الكوكب فقد روي انه كان محبوسًا في صباه في غار
وانما خرج بالليل واما قوله تعالى اولا وكذلك نُري
ابرهيم ملكوت السموات والارض فيجوز ان يكون قد ذكر
الله تعالى نهاية حكايته ثم رجع الى نهاية بدايته فهذه

وامثالها ظنون نظنها براهين من لا يعرف حقيقة البرهان
وشرطه فهذا جنس تأويلهم وقد تأولوا العصا و
والنعلين في قوله تعالى واخلع نعليك والق ما في
يمينك فلعل الظن في هذه الامور التي لا تتعلق باصول
الاعتقاد تجري مجرى البرهان في اصول الاعتقاد فلا
يكفر فيها ولا يبدع نعم ان كان فتح هذا الباب والتصريح به
يتداعى الى تشويش قلوب العوام فيبدع صاحبه في
كلام لم يؤثر عن السلف ذكره ويقرب من هذا قول
الباطنية ان عجل السامري مؤول اذ كيف يخلو ذا
خلق كثير من عاقل يعلم ان المتخذ من ذهب وفضة لا يكون
الهًا وهذا الظن ايضا لا يستحيل ان ينتهي الجهل بطائفة الى

ذلك كعبدة الاوثان وكونه قادرا برهان قاطع كالذي
ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الآخرة
بظنون واوهام من غير برهان قاطع كالذي ينكر حشر
الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون
واوهام من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعا اولا برهان
على استحالة رد الارواح الى الاجساد وذكر ذلك
عظيم الضرر في الدين يجب تكفير كل من نطق به وهو مذهب
اكثر الفلاسفة وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله
تعالى لا يعلم الا نفسه او لا يعلم الا الكليات فاما الامور
الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب
الرسل صلوات الله عليهم قطعا وليس من قبيل الدرجات

التي ذكرناها في التأويل وادلة القرآن والاخبار على
حشر الاجساد وتعلق علم الله تعالى بتفصيل كل ما يجري على
الاشخاص يتجاوز حد التأويل وهم معترفون ان هذا
ليس من التأويل ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق
في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور فهمهم عن فهم المعاد
العقلي وكان صلاحهم في اعتقاد ان الله تعالى عالم بما
يجري عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم جاز
للرسول ان يفهمهم ذلك وليس بكاذب من اصلح غيره
وقال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله وهذا القول باطل
قطعا لانه تصريح بالكذب ثم طلب عذر في انه لم كذب
ووجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق

وأصلاح الخلق مندوحة عن الكذب وهذا اول درجات
الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال والزندقة المطلقة فان
الاعتزال يقرب مناهجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا
الامر الواحد وذلك ان المعتزلي لا يجوز الكذب على
الرسول عليه السلام بمثل هذا القدر بل يتأول الظاهر
مهما ظهر له البرهان بخلافه والفلسفي لا يقتصي مجاوزته
للظواهر على ما يقبل التاويل من قرب او بعد واما
الزندقة المطلقة فهو ان ينكر اصل المعاد عقليا وحسيا و
ينكر صانع العالم اصلا ورأسا واما اثبات المعاد بنوع
عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية من اثبات الصانع
مع نفي علمه بتفاصيل الامور فهو زندقة مقيدة بنوع اعتراف

يصدق الانبياء بطلب ظن والعلم عند الله ان هولاء
هم المرادون بقوله عليه السلام ستفترق امتي نيف
وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة
هذا لفظ الحديث في بعض الروايات وظاهر الحديث
يدل على انه اراد الزنادقة من امته اذ قال ستفترق
امتي من لم يعترف بنبوته فليس من امته والذين
ينكرون اصل المعاد واصل الصانع فليسوا معترفين
بنبوته اذ هم يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم
لم يزل كذلك موجودا بنفسه من غير صانع فلا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا
يمكن نسبتهم الى الامة فاذا لا معنى لزندقة هذه الامة الا

الا ما ذكرناه **فصل** اعلم ان شرح ما يكفر به وما لا يكفر به
يستدعي تفصيلا طويلا يفتقر الى ذكر كل المقالات
والمذاهب وذكر شبهة كل واحد ودليله ووجه
بعده عن الظاهر ودرجة تأويله وذلك لا تحويه مجلدات
كثيرة ولن يتسع لشرح ذلك اوقاتي فاقنع ابوصية مني
وقانون اما الوصية فان تكف لسانك عن اهل القبلة
ما امكنك ما داموا قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله
غير مناقضين لها فاما المناقضة فتجويزهم الكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر او غير عذر فان التكفير
فيه خطر والسكوت لا خطر فيه اما القانون فهو ان تعلم
ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول العقائد وقسم

يتعلق بالفروع واعلم ان اصول الايمان ثلثة
الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع
واعلم انه لا تكفير في الفروع اصلا لكن في بعضها
تخطئة كما في الفقهيات وفي بعضها تبديع مثل الخطأ
المتعلق بالامامة واحوال الصحابة واعلم ان الخطأ
في اصل الامامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها
لا يوجب شيء منها تكفيرا فقد انكر ابن كيسان اصل
وجوب الامامة ولا يلزم تكفيره ولا يلتفت الى قوم
يعظمون امر الامامة ويجعلون الايمان بالامام مقرونا بالايمان ه
بالله وبرسوله ولا الى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم
في الامامة فكل ذلك اسراف وليس في واحد من القولين

تكذيباً للرسول ايضا ومهما وجد التكذيب وجب التكفير
وان كان في الفروع فلو قال قايل مثلا البيت الذي
بمكة ليس هو الكعبة التي امر الله تعالى بالحج اليها فهذا كفر
اذ ثبت بالتواتر من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف
ذلك ولو انكر شهادة الرسول عليه السلام لذلك
البيت بانه الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعا انه معاند
في انكاره الا ان يكون قريب العهد بالاسلام ولم
يتواتر عنده ذلك وكذلك من نسب عايشة رضي الله
عنها الى الفاحشة وقد نزل القرآن ببرائتها فهو كافر
لان هذا كله وامثاله لا يمكن الا بتكذيب او انكار متواتر
والمتواتر ينكره المنكر بلسانه ولا يمكن ان ينكره بقلبه نعم لو

انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون
الاجماع حجة مختلف فيه فهذا حكم الفروع اما الاصول
الثلثة فكلما لم يحتمل التأويل في نفسه وتواتر نقله ولم
يتصور ان يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب
محض ومثاله ما ذكرناه من حشر الاجساد واحاطة علم الله
تعالى بتفصيل الامور وما يتطرق اليه من احتمال تاويل ولو
بالمجاز البعيد فينظر فيه الى البرهان فان كان قاطعاً
وجب القول به لكن ان كان في اظهاره مع العوام
ضرر لقصور فهمهم فاظهاره بدعة وان لم يكن البرهان قطعيا
لكن يفيد ظنًّا غالبًا وكان مع ذلك لا يعلم ضرره في
الدين كنفي المعتزلة للرؤية فهذه بدعة وليس بكفر واما ما

ويظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والأظهر يحتمل أن يكفر
ويحتمل ان لا يكفر ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعي
التصوف انه قد بلغ حالة بين الله تعالى وبينه الى حيث
سقطت عنه الصلوة وحل له شرب المسكر والمعاصي واكل
مال السلطان وهذا لا اشك في وجوب قتله وان كان
الحكم بخلوده في النار نظر وقتل هذا افضل من قتل
مائة كافر اذ ضرره في الدين اعظم وينفتح منه باب
من الاباحة لا ينسد وضرر هذا فوق ضرر من يقول
بالاباحة مطلقا فانه يمنع من الاصغاء اليه لظهور كفره
واما هذا فيهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب
فيه الا تخصيص عموم اذ خصص عموم التكليفات لمن ليس له

مثل درجته في الدين وربما يزعم انه يلابس الدنيا و
يقارف المعاصي بظاهره وهو بباطنه منه بري ويتداعى
هذا الى ان يدعي كل فاسق مثل حاله وينحل به نظام
الشرع ولا ينبغي ان يظن ان التكفير ونفيه ينبغي ان يدرك
قطعا في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة
المال وسفك الدم والحكم بالخلود في النار فمأخذه
كمأخذ سائر الاحكام الشرعية فتارة يدرك بيقين وتارة
يتردد بيقين ومهما حصل تردد فالتوقف بالتكفير اولى
بالمبادرة الى التكفير انما يغلب على طباع من يغلب عليه
الجهل فلا بد من التنبيه لقاعدة اخرى وهو ان المخالف
قد يخالف نصا متواترا ويزعم انه تأول وذلك تحقر وصاحبه

كذب وان كان يزعم انه متأول مثاله ما رأيته في

كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطي

الوحدة ويخلقها وعالم بمعنى انه يعطي العلم ويخلقه لغيره

وموجود بمعنى انه يوجد غيره فاما ان يكون واحدًا او موجودًا

او عالمًا على معنى اتصافه به فلا وهذا كفر صريح لان حمل الوحدة

على اتحاد الوحدة ليس من التأويل في شيء ولا تحتمله لغة

العرب اصلا ولو كان خالق الوحدة يسمى واحدا لسمي

ثلثا واربعا لانه خلق الاعداد كلها ايضا فامثلة هذه

المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات **فصل** فقد فهمت

من هذه التقسيمات ان النظر في التكفير يتعلق بامور احدها

ان النص الشرعي الذي عدل عن ظاهره يحتمل التأويل ام لا

١٤٩

فان احتمل فهو قريب ام بعيد ومعرفة ما يقبل التأويل

وما لا يقبل وليس بالهين بل لا يستقل به الا الماهر

في علم اللغة العارف باصل اللغة ثم بمعرفة العربية

في الاستعمال استعاراتها وتجوزاتها ومنهاجها في ضرب

الامثال الثاني في النص المنقول انه ثبت تواترًا

او آحادًا او ثبت بالاجماع المجرد فان ثبت تواترًا

فهو على شرط التواتر ام لا اذ نظن المستفيض تواترًا

او حد التواتر ما لا يمكن الشك فيه كالعلم بوجود الانبياء

ووجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر في الاعصار

كلها عصرًا بعد عصر الى زمان النبوة ام يتصور ان يكون

قد نقص عدد التواتر في عصر من الاعصار وشرط التواتر

ان لا يحصل ذلك كما في القرآن ام الى القرآن فيغمض
مدرك ذلك جدا فلا يستقل بادراكه الا الباحثون عن
كتب التواريخ واحوال القرون الماضية وكتب
الاحاديث واحوال الرجال واغراضهم في بعض المقامات
اذ قد يوجد عدد التواتر في كل عصر ولا يحصل به العلم
لو كان يتصور ان يكون الجمع الكثير رابطة في التوافق
لا سيما بعد وقوع التعصب من ارباب المذاهب
كذلك نرى الروافض يدعون النص على علي كرم الله
وجهه في الامامة يتواتر عندهم لشدة تواتر الروافض
على افاضة اكاذيبهم واشاعتها وانما يستبد الى الاجماع
فدرك ذلك من اغمض الاشياء اذ شرطه ان يجمع اهل الحل

والعقد في صعيد واحد وهم يتفقون على امر اتفاقا
بلفظ تصريح ثم يستمرون عليه مدة عند قوم والى تمام
انقراض العصر عند قوم او مكاتبتهم اجماعا اكام في
اقطار الارض فيأخذ فتاويهم في زمان واحد بحيث
يتفق اقوالهم اتفاقا صريحا حتى يجمع الرجوع والخلاف
بعده ثم النظر فيمن خالف بعده هل يكفر لان من
الناس من قال اذا جاز في ذلك الوقت ان
يختلفوا فيحتمل ان رفعهم على الاتفاق ولا يمتنع على واحد منهم
ان يرجع بعد ذلك وهذا ايضا غامض الثالث النظر
في صاحب المقالة هل تواتر عنه الخبر وهل بلغه الاجماع
اذ كل من يولد لا يكون الا صور عنه متواترة ولا

مواقع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف انما يدرك
ذلك شيئاً شيئاً وانما يعرف ذلك من مطالعة الكتب
المصنفة في الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل
العلم في ذلك بمطالعة تصنيف او تصنيفين او لا يحصل
تواتر الاجماع به وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله
كتاباً في مسائل الاجماع وانكر عليه كثير وخولف في
بعض تلك المسائل فاذن من خالف الاجماع ولم يثبت
عنده بعد فهو جاهل مخطئ وليس بمكذب ولا يمكن تكفيره
والاستقلال في معرفة التحقيق في هذا غير هين الرابع النظر في
دليله الباعث له على مخالفة الظاهر هو على شرط البرهان
أم لا ومعرفة شروط البراهين لا يمكن شرحها الا في مجلدات

كثيرة وما ذكرناه في كتاب القسطاس وكتاب
محك النظر انموذج منه وتكل قرائح فقهاء هذا الزمان
عن معرفة شروط البرهان على الاستيفاء ولا بد من
معرفة ذلك فان البرهان اذا كان قاطعاً لا يرخص
فيه الا في تأويل قريب سابق الى الفهم الخامس
في ان ذكر تلك المقالة هل يعظم ضرره في الدين ام لا
فان ما لا يعظم ضرره فالامر فيه اسهل وان كان القول
شنيعاً ظاهر البرهان كقول المنتظرة ان الامام مختف في
سرداب وانه ينتظر خروجه فانه قول كاذب ظاهر
البطلان شنيع جداً ولكن لا ضرر فيه على الدين وانما
الضرر على الاحمق المعتقد لذلك ان يخرج كل يوم من

بلدة لاستقبال الامام حتى يدخل ويرجع الى بيته خائباً
وهذا مثال والمقصود ان لا يكفر بكل هذيان وهذا
ظاهر البطلان واذا فهمت ان النظر في التكفير موقوف
على جميع هذه المقالات التي لا يستقل باداركها المبرزون
علمت بان المبادرة الى تكفير من يخالف الاشعري
او غيره جاهل مجازف وكيف يستقل الفقيه بمجرد العلم
بهذا الخطب العظيم وفي اي ربع من ارباع الفقه يصادفه
مجرد هذه العلوم فاذا رايت الفقيه الذي بضاعته مجرد
الفقه يخوض في التكفير فاعرض عنه ولا تشتغل به قلبك
ولا لسانك فان التحدي بالعلوم غريزة في الطبع لا يصبر عنه
الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو سكت من لا

يعلم لارتفع الخلاف **فصل** من اشد الناس غلواً و
اسرافاً طايفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا
ان من لا يعرف علم الكلام معرفتنا ولم يعرف الادلة
الشرعية بادلتنا التي حررناها فهو كافر فهولاء ضيقوا
رحمة الله الواسعة على عباده اولاً وجعلوا الجنة وقفاً
على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من
السنة ثانيا اذ من عصر النبي عليه السلام وعصر الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين حكمهم باسلام طوايف من
اجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ولم
يشتغلوا بتعليم الدلايل ولو قصدوها لما فهموها ومن ظن
ان يدرك الايمان بالكلام والادلة المحررة والتقسيمات

المرتبة فقد ابعد لان الايمان نور يقذفه الله تعالى
في قلب عبده عطية وهدية من عنده تارة بتنبيه من
الباطن لا يمكن التعبير عنه وتارة بسبب رؤيا في المنام
وتارة بقرينة حال فقد جاء اعرابي الى النبي عليه السلام
جاحدا له منكرا فلما وقع بصره على طلعته البهية فرآها يتلالا منها
انوار النبوة قال والله ما هذا وجه كذاب وساله ان
يعرض عليه الاسلام وجاء آخر اليه فقال انشدك الله
الله بعثك نبيا فقال اي والله الله بعثني نبيا وهذا وامثاله
مما لا يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعلم الادلة بل
كان نور الايمان اولا بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة
بيضاء ثم لا يزال يزداد واشراقا بمشاهدة تلك الاحوال

العظيمة وبتلاوة القرآن وتصفية القلوب فليت
شعري من نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن
الصحابة احضار اعرابي اسلم يقول له الدليل على ان
العالم يحدث انه لا يخلو من الحوادث وهي الاعراض
وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث وان الله تعالى
عالم بعلم زائد عن الذات لا هو هو ولا هو غيره الى غير
ذلك من رسوم المتكلمين ولست اقول ان لم يجر هذه
الالفاظ بل لم يجر ايضا ما معناه معنى هذه الالفاظ
بل كان لا ينكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف
يسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الاسارى يسلمون
واحدا بعد واحد بعد طول الزمان او على القرب فكانوا

اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلوة والطهارة
وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم او غيرها نعم لست
انكر انه يجوز ان يكون ذكر ادلة المتكلمين احد اسباب
الايمان في حق بعض الناس ولكن ليس ذلك بمقصود
عليه وهو ايضا نادر بل تقع الكلام الجاري في معرض
الوعظ كما يشتمل عليه القرآن فاما الكلام المحرر على رسم
المتكلمين يشعر نفوس المستمعين بان فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامي
لا لكونه حقا في نفسه وربما يكون ذلك سببا لرسوخ
العناد في قلبه وكذلك لا يرى مجلس المناظرة من
المتكلمين ولا الفقهاء ينكشف عن واحد من اعتزال او
بدعة الى غيره ولا عن مذهب الشافعي الى مذهب ابي

حنيفة ولا على العكس وتجري هذه الانتقالات باسباب
اخر حتى في القتال بالسيف ولذلك لم تجري عادة السلف
بالدعوة بهذه المجادلة بل شددوا القول على من
يخوض في الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال واذا
تركنا المداهنة ومراقبة الجوانب صرحنا بان الخوض
في الكلام حرام لكثرة الآفة فيه الا لاحد شخصين رجل
وقعت له شبهة ليست تزول بكلام قريب وعظي
ولا بحديث نقلي عن قلبه فيجوز ان يكون القول المرتب
الكلامي رافعا شبهته ودواء في مرضه فيستعمل معه ويحرس
عنه الكلام فيما لم يبن له فيه شبهة فانه كالشخص
الذي ليس به ذلك المرض فانه يوشك ان يحول في

نفسه اشكال وثار له شبهة لمرضه ويتنزل له عن اعتقاده
المجزوم الصحيح والثاني شخص كامل العقل راسخ القدم في
الدين ثابت الايمان نافذ اليقين يريد ان يحصل عن القناعة
ليداوي بها مريضا اذا وقعت له شبهة ويفحم بها مبتدعا
اذا انبغ ويحرس به معتقده اذا اقصده مبتدع ان يغويه
فيعلم ذلك لهذا الغرض من فروض الكفايات وتعلم
ما يزيل الشك من الشبهة في حق المشكك فرض عين اذا
لم يمكن اعادة اعتقاده المجزوم لطريق آخر سواه فالحق
الصريح ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول عليه السلام
واشتمل عليه القرآن اعتقادا جزما فهو مؤمن وان لم
يعرف ادلته بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف

مشرف على الزوال بكل شبهة بل الايمان الراسخ
ايمان العوام الحاصل في قلوبهم من الصبا بتواتر
السماع او الحاصل بعد البلوغ بقرائن لا يمكن التعبير
عنها وتمام تأكده بملازمة العبادة والذكر فان تمادي
به العبادة الى حقيقة التقوى وتطهير الباطن من كدورات
الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى دائما تجلت له انوار
المعرفة وصارت الامور التي كان اخذها تقليدا
عنده كالمعاينة المشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التي
لا تحصل الا بعد انحلال عقدة الاعتقادات و
انشراح الصدر بنور الله تعالى ومن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه كما قيل

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شرح
الصدر فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن
قيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود فهذا ان المتكلم المقبل على الدنيا المتهالك
عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو ادركها لتجافى عن
دار الغرور قطعاً **فصل** لعلك ان تقول انت تأخذ
التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية والشارع صلوات
وسلامه عليه هو الذى ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلمين
اذ قال عليه السلام يقول الله تعالى لآدم عليه السلام
يوم القيمة يا آدم ابعث من ذريتك نصيب النار
فيقول يا رب من كم فيقول الله تعالى ابعث من كل

الف تسعمائة وتسعة وتسعين وقال عليه السلام
ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة
الجواب ان الحديث الاول صحيح ولكن ليس المعنى
به انهم كفار يخلدون بل هم يدخلون النار ويعرضون
عليها فيتركون فيها بقدر معاصيهم والمعصوم من المعاصي
لا يكون في الالف الا واحد ولذلك قال الله تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم
بعث النار عبارة عمن استوجب النار بذنوبه ويجوز
ان يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما وردت به الاخبار
الكثيرة على سعة الرحمة وهي اكثر من ان تحصى فمنها ما روى
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت فقدت رسول الله

ويشهد الاخبار ه

صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاتبعته فاواني
تربة يصلي فرايت على راسه انوار ثلثة فلما مضى عليه
السلام قال من هذه فقلت انا عايشة فقال رايت
الانوار الثلثة قلت نعم يا رسول الله فقال ان
آتيا اتاني من ربي تعالى فبشرني ان الله تعالى يدخل
الجنة من امتي مكان كل واحد سبعين الفا بغير حساب
ولا عذاب ثم اتاني النور الثاني آت من ربي
تعالى فبشرني انه تعالى يدخل من امتي مكان كل واحد
سبعين الفا الى الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني
في النور الثالث آت من ربي فبشرني ان الله تعالى
يدخل من امتي مكان كل واحد من السبعين الفا بغير حساب

المضاعفة بسبعين

ولا عذاب فقلت يا رسول الله لا يبلغ هذا امتك
فقال تكملون لكن من الاعراب من لا يصوم ولا
يصلي فهذا وامثاله من الاخبار الدالة على صحة سعة الرحمة
كثير وهذا في امة محمد عليه السلام خاصة وانا اقول
ان الرحمة يشمل اكثر الامم السالفة وان كان اكثرهم
يعرضون على النار اما عرضة حقيقية حتى في لحظة او ساعة
واما في مدة حتى ينطلق عليهم اسم بعث النار بل
اقول اكثر نصارى الترك والروم في هذا الزمان
يشملهم الرحمة اعني الذين في اقاصي الروم ولم يبلغهم
الدعوة فانهم ثلثة اصناف صنف لم يبلغهم اسم محمد
عليه السلام فهم معذورون وصنف بلغهم اسمه ونعته و

ما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام
والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون وصنف ثالث
بين الدرجتين بلغهم اسم ولم يبلغهم نعته وصفته بل سمعوا
منذ الصبى ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة كاذبا
فهؤلاء عندي في الصنف الاول فانهم مع انهم سمعوا صفته
سمعوا ضده او صافه وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب
واما الحديث الاخر وهو قوله الناجية منها واحدة
فالرواية مختلفة فقد روى الهالكة منها واحدة وهي التي فيه
تخلد في النار لا يحتاج الى الشفاعة بل الذي يتعلق به
الزبانية فيجرونه فليس بناج على الاطلاق وان اسرع
بالشفاعة عن مخالبهم وفي رواية اخرى كلها في الجنة الا الزنادقة

وهي فرقة ويمكن ان الروايات كلها صحيحة فيكون
الهالكة واحدة وهي التي تخلد في النار فيكون الهالك
عبارة عمن وقع الياس من خلاصه لان الهالك
لا يرجى له بعد الهلاك خير ويكون الناجية واحدة وهي
التي يدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لان من نوقش
الحساب فقد عذب وليس بناج اذا ومن عرض
للشفاعة فقد عرض للمذلة وليس بناج على الاطلاق
وهذان طرفان وهما عبارتان عن شر الخلق وخيره
وما في الفرق كلهم من ما بين الدرجتين فيهم من يعذب
بالحساب فقط ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف
بالشفاعة ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم

عقايدهم وبدعهم وعلى حسب كثرة معاصيهم وقلتها فاما
الهالكة المخلدة في النار من هذه الامة فهي فرقة
واحدة وهي التي كذبت وجوزت الكذب على
رسول الله صلى الله عليه للمصلحة واما من ساير الامم فمن
كذبه بعد ما قرع سمعه على التواتر خروجه وصفته ومعجزاته
الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من
بين اصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به اهل الفصاحة
فعجزوا عنه فاذا قرع سمعه ذلك فاعرض وتولى ولم ينظر
فيه ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد
المكذب وهو الكافر ولا يدخل في هذا اكثر الروم والترك
الذين بعدت بلادهم عن بلاد الاسلام بل اقول من قرع سمعه

هذا فلا بد ان ينبعث منه داعية الطلب ليتبين حقيقة
الامر ان كان من اهل الدين وان لم يكن من اهل الدين
استحبوا الدنيا على الاخرة فان لم ينبعث من
هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه من الخوف
وخطر من الدين وذلك كفر وان انبعث الدعوة فقصر
في الطلب فهو ايضا كافر اذ كان ذو الايمان بالله واليوم
الآخر من اهل كل ملة لا يمكنه ان يفتره عن الطلب بعد
ظهور المخايل بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل
بالنظر والطلب ولم يقصر فادركه الموت قبل تمام التحقيق
فهو ايضا مغفور له من الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله
تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية

واعلم ان الآخرة اقرب من الدنيا فما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة وكان اكثر اهل الدنيا في نعمة او
في سلامة او في حالة يغبطها اذ لو خير بينها وبين الالام
والاعدام مثلا لما اختارها وأما المعذب الذي يتمنى
الموت فكذلك المخلدون في النار بالاضافة الى
الناجي والى المخرجين منها في الآخرة نادر فان صفة
الرحمة لا يتغير باختلاف احوالك ولو لا هذا لكان
قوله عليه السلام بلا معنى حيث قال اول ما خط الله تعالى
في الكتاب الاول انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي
غضبي من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده و
رسوله فله الجنة واعلم ان اهل قد انكشف لهم سبق الرحمة

وانما الآخرة والدنيا عبارة عن اختلاف احوالك

وسموا اليها باسباب ومكاشفات سوى ما سمعوه
من الاخبار والآثار ولكن ذلك يطول فابشر برحمة
الله تعالى والنجاة المطلقة ان جمعت بين الايمان والعمل
الصالح وبالهلاك المطلق ان خلوت منهما جميعا و
ان كنت صاحب يقين في اصل التقدير وصاحب
الخطأ في التأويلات او صاحب شك فيهما او خلط
في الاعمال فلا تطمع في النجاة المطلقة واعلم انك
بين ان يعذب مدة ثم تخلى وبين ان يشفع فيك من
عرفت صدقه في جميع ما جاء به او غيره واجتهد ان
يغنيك الله بفضله عن شفاعة الشفعاء فان الامر في
ذلك خطر عظيم **فصل** قد ظن بعض الناس ان ما خذ

التكفر من العقل لا من الشرع وان الجاهل بالله كافر
وان العارف به مؤمن فيقال له الحكم بالخلود في النار
حكم شرعي لا معنى له قبل ورود الشرع وان اراد
ان المفهوم به من الشارع ان الجاهل بالله كافر فهذا
لا يمكن حصره فيه لان الجاهل بالرسول وبالآخرة ايضا
كافر ثم ان خصص ذلك بالجهل بذات الله تعالى بوجوده
او وحدانيته ولم يطرده في الصفات فربما سوعد عليه
فان جعل المخطي ايضا بالصفات جاهلا وكافرا لزمه تكفير من نفى
عنه صفات البقاء وصفة القدم ومن نفى الكلام وصفا
زائدا على العلم ومن نفى السمع والبصر زائدا على العلم ومن
نفى جواز الرؤية ومن اثبت الجهة واثبت له الارادة

حادثة في ذاته او لا في محل او في تكفير المخالفين
فيه وبالجملة يلزم التكفير في كل مسئلة يتعلق بصفات
الله تعالى فذلك تحكم لا مستند له وان خصص بعض
الصفات دون بعض لم يجد لذلك فصلا مفردا فلا وجه
الا الضبط بالتكذيب ليعلم المكذب بالرسول والمعاد
ويخرج منه التأويل ثم لا يبعد ان يقع الشك والنظر
في بعض المسائل من جمل التأويل والتكذيب حتى يكون
التأويل بعيدا او يقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد
وقد عرفت ان هذه مسئلة اجتهاد **فصل** من الناس
من قال انا اكفر من يكفرني من الفرق ولا اكفر
من لا يكفرني وهذا لا حاصل له فان القائل على رضي الله

عنه اولى بالامامة اذا لم يكن كفرا فبان يخطئ صاحبه
وظن ان المخالف فيه كافر ولم يصر كافرا و
انما هذا في مسئلة شرعية وكذا الحنبلي اذا لم يكفره
باثبات الجهة فلم يكن بان يغلط وظن بان نافي الجهة
مكذب وليس بالمتأول ولهذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قذف احد الحكمين صاحبه
بالكفر فقد باء به معناه انه يكفره مع معرفته بحاله فمن
عرف من غيره انه يصدق برسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم كفره فيكون المكفر كافرا اما ان كفره
لظنه انه مكذب وليس كذلك وهذا لا يكون كفرا
فقد افدناك بهذه التردیدات التنبيه على عظم

الغور في هذه القاعدة وعلى القانون الذي
ينبغي ان يتبع فيه فاقنع به تم الكتاب
بحمد رب الارباب
وصلى الله على سيدنا
محمد وآله اجمعين